ملحمة الحسين

مُحتَوياتُ العَدَد (عدد خاص)

كلمة العدد

مراسيم النهضة المقدسة

هيئـة التحريـر ٦

نشأة التدوين في مقتل الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حسن كريم الربيعي ٨

وقفة نقدية مع قصيدة الشيخ حمادي الكواز

د. حسـن الخاقـاني ١٣

قصيدة: حديث الطفوف

عبد الأمير جمـال الدين ٢٢

العوامل النفسية وأثرها في النهضة الحسينية

ثائر عباس النصراوي ٢٦

استطلاع المجلة

طريق مكة ـ كربلاء.. مسار صنع التاريخ

محمد عبد الغني السعيدي ٣٠

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سـماحة السـيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٨

نظرة في تجديد الخطاب الحسيني

حيـدر كريم الجـمالي ٥١

قصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

السـيد حيدر الحـلي ٥٤

ص ٧٦

ص ٦١

ص ٩٥

مقام نخلة مريم عليها السلام

سلمان هادي آل طعمة ٥٦

عبد الله بن عفيف الأسدي

علي عبد الزهرة الفحام ٦٠

أصحاب الحسين عليه السلام أفضل الشهداء

الشيخ وضاح الظالمي ٦٨

قصيدة: زحفاً للحسين عليه السلام

إبراهيم الكعبي ٧٦

الخطيب الشيخ عبود النويني

حسين جهاد الحساني ٨٠

الارتقاء إلى المنبر الحسيني

هاشم حسين ناصر المحنك ٨٤

أحب الله من أحب حسيناً

وجدان الغانمي ٩٠

أحاديث أبي الفضل العباس عليه السلام.. دراسة لغوية

د. عبد الإله العرداوي ٩٤

ذخائر المآل في مدح المصطفى والآل.. دراسة نقدية

خليل إبراهيم المشايخي ١٠٤

أجوبة مسابقة العدد (٢٦) وأسماء الفائزين ١١٢

مسابقة العدد (٢٨) ١١٣

ص ٨٠

ص ٨

ص ٥١

مراسيم النهضة المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

تتجدد في هذه الأيام الشريفة ذكرى فاجعة الطف التي بقيت غضة طرية على مرّ العصور رغم المحاولات الكثيرة والمتنوعة في طمسها ودثرها مع ما كانت تعمل عليه الدعاية الأموية ضد النهضة المقدسة لسيد الشهداء عليه السلام.

وقد كانت فاجعة الطف بما حوته من الفجائع والمصائب على عترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من قتل سيد شباب أهل الجنة ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ـ كما جاء في خطبة العقيلة زينب عليها السلام ـ مع الصفوة من الأصحاب وسبي النساء الثاكلات حواسر إلى الشام مروراً بالكوفة وحمل رؤوس القتلى على أطراف الرماح وغير ذلك مما ترك ذكره التأريخ من المآسي والفضائح مؤهلة لأن تبقى على مرّ العصور الطويلة لتحقق الغرض الأسمى الذي من أجله جرى قضاء الله تعالى بذلك، وإلا فإن قطرة واحدة من الدماء الزواكي التي أريقت على أرض كربلاء أعظم عند الله تعالى من الدنيا وما فيها لولا ما يترتب على ذلك من الأثر الكبير الذي يتناسب مع حجم التضحية المتمثلة بقتل سيد الشهداء عليه السلام ونهب ثقله وهتك حرمته. عند ذلك يتضح ما بلغت إليه الأمة آنذاك من الانحراف وحجم الخطر الذي أحدق بهذه الرسالة الإسلامية التي قضى الله تعالى لها الخلود والبقاء إلى يوم

القيامة.

وأوضح شاهد على حجم الخطر الذي نشير إليه في ظرف النهضة الحسينية هو ما جرى عليه عليه السلام نفسه من الجرائم والفضائع مع أنه سيد شباب أهل الجنة وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإضافة إلى قرب الفترة بينه وبين عصر الرسالة وهو شاهد واضح على ما نقول.

وكل من يريد أن يعرف حجم الانحراف الذي منيت به الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمكن له أن يستوضحه بمعركة الطف وزحف العشرات من الآلاف نحو قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتضح البعد العسكري للجيوش الزاحفة لقتل الحسين عليه السلام والأهداف التي وضعها الجيش أمامه والذي كان يقاتل من أجلها، ودعوى

الحصول على المال والغنائم في المعركة إما أنه غير معقول في نفسه، أو أنه يكشف عن عمق الانحراف العقيدي والتربية الدموية واللامبالاة التي تربّت عليها الأمة الإسلامية في غضون خمسة عقود من الزمن بعد الرسالة المحمدية العظمى التي ربّت الأمة المبادئ والقيم والتي صنعت الشخصيات العظيمة الحاوية على المثل والأخلاق القيمة.

أما ما جنته النهضة من الثمرات فقد علم الله تعالى ذلك وما ظهر منها عبر الحقب الزمنية المتعاقبة خير دليل عليها، ولا مجال لسرد الثمرات المنظورة تفصيلاً بل كلها تصب في بقاء الدين إجمالاً فلا يسعنا في هذه الكلمة إلا التأكيد على هذه النهضة بالمراسيم العامة والخاصة والتي تصب في بقاء مشروعها المقدس والكل يعبر عن مشاعره الخاصة بما تتاح له من الفرصة فليس هناك أسلوب معين ولا أمور معينة ينبغي فعلها وترك الباقي، بل كل ما يكون من شأنه أن يصب في بقاء العواطف بل تأجيجها نحو فاجعة الطف فهو من الأهداف النبيلة التي يسعى الكل لتحقيقها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

هيئة التحرير

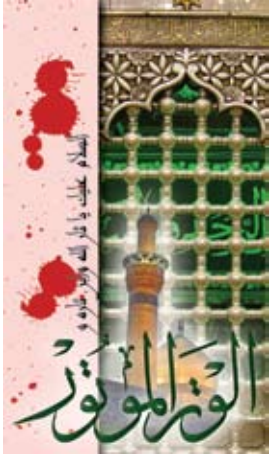

نشأة التدوين..
في مقتل الإمام الحسين عليه السلام

منذ الواقعة إلى أواخر القرن الخامس الهجري

الشيخ حسن كريم الربيعي •

تمهيد

كانت واقعة كربلاء من أعظم الأحداث التاريخية التي هزت الضمير الإنساني بأسره، وما زالت حية مؤثرة بل هي النبراس في طريق الأحرار في العالم، ينير لهم درب الإباء ورفض العبودية الا لله سبحانه وتعالى فقد تقدم الإمام الحسين عليه السلام للشهادة بنفسه ونفوس أهل بيته وأصحابه، لا لأجل نفسه ونيل الشهادة ودرجتها فحسب بل هي إحدى الحسنيين من ناحية التأثير والبعد المستقبلي والأهداف المرجوة منها والنتائج التي سوف تجنيها الأمة من هذه التضحية، فقد يحقق النصر كما تحقق في معركة بدر الكبرى فانتصر الإسلام ولم تقم لقريش وأحلافها قائمة بعدها على الرغم من انتصارهم في أحد، ولكن نصر الإسلام كان قد سجل في بدر كبداية ترهب أعداءه وتثير في نفوسهم الخوف.

وأما معركة كربلاء فقد انتصرت فيها

إرادة الإنسان، ممثلة بالإنسان الكامل المعصوم المضحي بكل شيء من أجل التطبيق الصحيح لأصل النظرية الإسلامية الشاملة أي القواعد والقوانين التي عرضها الإسلام كمرحلة ليست تاريخية وينتهي أمدها كما يصّور البعض من الكتاب المعاصرين الناظرين للإسلام ونظريته نظرة تاريخية فحسب.

إن الرسالة الخاتمة لا تتصف بالتاريخية من جهة مصادرها الرئيسة ولا مانع من مواكبتها للتطور الحاصل في المجتمعات.

إن البعد الثوري لأهداف الإمام الحسين عليه السلام يرفض هذه الدعوى فلم تكن واقعة الطف ومقتل الإمام الحسين عليه السلام منحصرة بزمان أو مكان أو هي من السرد التاريخي المفعم بالحادثة المأساوية أو تصوير لجانب من جوانبها وترك الجوانب الأخرى فكل حركة من حركاتها هي رموز إشعاعية تنير أهدافها الحقة والجديرة بالإتباع لمكان نظرية الأسوة في القرآن الكريم بعد فهم غرض وهدف الأسوة ونظامها فالإمام الحسين عليه السلام أسوة لكل الناس يقتدي به من يعرف هدفه وغرضه من الثورة، ولا يقتدي به من لم يعرف ذلك.

ومنذ حدوث الواقعة وتقدم الإمام الحسين عليه السلام إلى ارض المعركة بكل ثقة وإصرار، تنبّه إلى دور نقل الوقائع والأحداث الدائرة بين الأطراف خوفاً من تضليل الأمة بتحريف التاريخ وتزويره وهو ما حصل في تأريخنا، لذلك كانت المسؤولية تقع على عاتق كل من تخلص من القتل والأسر، لان الإعلام آنذاك ضد الثورة الحسينية وحتى بعدها أي في الحقب التاريخية المتتالية، فقد حاولت السلطات الحاكمة طمس

معالمها منذ انبثاقها، فعلى الباحثين من أهل العلم والموضوعية دراستها لأنها تملك صفة التجدد والحيوية، فكان الإمام عليه السلام على ضوء هذه الرؤية يهيئ مجموعة من أمثال عقبة بن سمعان والضحاك المشرفي فضلاً عن أهل بيته فيحثهم على نشر أحداث الواقعة وبيان أهداف الثورة[1] ثم نشر حقائقها للناس ومنذ ذلك التاريخ توالت المدونات في هذه الواقعة ويمكن تقسيم هذه المدونات وإيراد الأحداث بالشكل الآتي:

أ ـ مدونات التاريخ العام وهو ينقسم أيضاً إلى:

١ـ الكتب المجملة مثل كتاب تاريخ اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) فقد أوردت الأحداث بشكلها الإجمالي وبصورة عامة ليس فيها أي تفصيل للأحداث.

٢ـ الكتب المفصلة مثل كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت٣١٠هـ) وغيره إلا أن كتاب تاريخ الطبري فيه تفصيلات ذات قيمة تاريخية هامة للباحث فهو قد امتاز عن غيره بإيراده الأحداث والروايات بطرق متعددة فينقل لنا روايات الكوفة ودمشق والمدينة المنورة ثم يفصل روايات من داخل الجيش لأفراد قد اشتركوا في المعركة مع عمر بن سعد وأفراد قد اشتركوا مع الإمام الحسين عليه السلام أمثال عقبة بن سمعان والضحاك المشرفي فضلاً عن روايات الإمام السجاد عليه السلام المروية عن عمار الدهني وغيره وهم شهود عيان للمعركة[2]، وحتى أحداث الطريق ومجريات الواقعة بتمامها ضمن هذا العرض الذي يمكن الباحث من التحليل والاستنتاج والحصول على النتائج الحقيقية والواقعية بعد إخراج التشويه الحاصل والإعلام المضاد للحركة الثورية الحسينية.

ب ـ مدونات التاريخ الخاص وهو يتضمن عدة فروع كتاريخ المدن والوقائع والرجال ومن هذا التاريخ نشأ التدوين بالمقتل وسمي بكتب المقاتل وهو عندما يطلق ينصرف إلى مقتل الإمام الحسين عليه السلام وإن كتب لغيره ولكن الإطلاق ينصرف إليه ولا ينصرف إلى غيره إلا بقيد كمقتل زيد أو مقتل محمد ذي النفس الزكية أو مقتل إبراهيم بن عبد الله عليه السلام وغيرهم، لذا أخذ اسم أو لفظة مقتل الانصراف إلى الحديث عن واقعة الطف أو كربلاء وعلى كل ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم.

ظهور مدونات المقاتل

أغلب العلماء والمفكرين تناولوا قضية الإمام الحسين عليه السلام منذ وقوعها إلى يومنا الحاضر فمنهم تناولها من جهة الكتابة الضمنية بكتب السير أي سيرة الأئمة عليهم السلام أو بترجمة الإمام الحسين عليه السلام في كتب التراجم والطبقات ومنهم من تناولها عن انفراد وهو موضوعنا في هذه المدونات التي تتحدث عن الواقعة وما جرى فيها بصبغة تاريخية مقرونة بالسند أو ما يسمى بالرواية التاريخية التي تمكن الباحث من فحصها ونقدها ثم الحكم عليها أو لها لأنه لا يمكن أخذها على وضعها لقطعية التحريف والتزوير في المادة الحديثية والتاريخية، وكانت أغلب هذه المواد المنفردة قد أدخلت في المدونات الجمعية أو في التراجم ولم تصل إلينا منفردة وضاعت موادها التاريخية نتيجة ظروف سياسية أو تعصبات مذهبية أدت بالتالي إلى ضياع هذه الأصول، ولو استعرضنا هذه الأصول فنجد كما يأتي التسلسل التاريخي لتطور الكتابة الحسينية عند المسلمين ولم تكن منحصرة بالشيعة فقط والمدونات هي:

١ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

هـذا المـدون المبكر للأصبغ بـن نباتة المجاشعي وهو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، روى عهـد مالـك الأشـتر ووصيـة أميـر المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية[٣]، ذكره ابن حجر العسـقلاني (ت٨٥٢هـ) في كتابه (الإصابة) وقال له إدراك[٤]، ورجح الشـيخ أغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ) إن الاصبغ أول من دون في كتب المقاتل[٥].

هذا المقتـل رواية الدوري عن أحمد بن محمد بن سعيد عن أحمد بن يوسف الجعفي عـن محمد بـن يزيد النخعي عـن أحمد بن الحسـين عن أبـي الجارود عـن الأصبغ[٦].

كانت وفاته بعد المائة[٧].

٢ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبـي محمد أو عبد الله جابـر بن يزيد الجعفـي، المتوفـى سـنة ١٢٨هـ[٨] ذكره النجاشي (ت٤٥٠هـ)، ولكن الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) لم يذكر هذا الكتاب.

٣ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبـي مخنف لـوط بن يحيى بن سـعيد بن مخنف بن سـليم الازدي (ت١٥٧هـ) ولم يصل إلينـا إلا عن طريق الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه[٩].

٤ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبـي عبد الله محمد بـن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) صاحب المغازي[١٠].

٥ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبـي عبيـدة معمّر بـن المثـنى التيمي (ت٢١٠هـ)[١١].

٦ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبـي الفضل نصر بن مزاحم بن سـيار المنقري (ت٢١٢هـ)[١٢].

٧ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي عبيد القاسـم بن سـلار (سـلام) الهروي (ت٢٢٤هـ) (١٣).

٨ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي الحسـن علي بن محمـد المدائني (ت٢٢٥هـ) صاحب التصانيف الكثيرة[١٤].

٩ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الاحمري النهاوندي (ت بعد٢٦٩هـ)[١٥].

١٠ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لعبـد الله بـن احمـد بـن أبـي الدنيـا (ت٢٨١هـ)[١٦] وقيل اسمه عبيد الله بن محمد بن عبيد يكنى أبا بكر ولم يذكر ابن النديم أن له كتاب بهذا الاسم[١٧].

١١ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي (ت٢٨٣هـ)[١٨].

١٢ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي عبد الله محمـد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب(ت٢٩٨هـ)[١٩].

١٣ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لعبـد الله بـن محمد بن العزيـز البغوي (ت٣١٧هـ)[٢٠].

١٤ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لعمـر بـن الحسـن بـن علي بـن مالك الشيباني (ت٣٣٩هـ)[٢١].

١٥ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لسليمان بن احمد الطبراني(ت٣٦٠هـ)[٢٢].

١٦ـ مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

لأبي المؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، وهو من الكتـب المهمة التي وصلـت إلينـا بجزأيـن، ومطبـوع بطبعات متعـددة من أهمهـا طبعة النجف الاشـرف في سـنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م بملاحظة وتعليق العلامـة محمـد السـماوي رحمه الله وفـي مطبعة الزهراء.

بعد هـذا الاسـتعراض المتواضع الذي

يمكــن أن يكــون نقطة ضوء نحو دراســات أكثــر ســعة وعمــق لمعرفة مــا للتدوين من خدمــة للتعريف والتثقيف بمــا قدمته الثورة الحســينية، وقد توالت المدونات التاريخية بالتحليل والاســتنتاج إلــى عصرنا الحاضر وقد بلغت الآلاف وهي بحاجة إلى دراســات أعمق لأن دروس الثورة عطاء لا ينضب كلها تهدف إلــى تركيز البعد الإســلامي وغاياته في خدمة البشــرية، وما أحوجنا إلى معرفة روح الثــورة وأهدافها من خــلال النظر في هــذه المدونــات التــي وصلتنــا وتمحيصها ونقدها لمعرفة أبعادها المســتقبلية لصياغة التاريخ الآتي بالصبغة الإســلامية والأهداف الحســينية الهادفة إلى نشر العدل والمساواة التي تمركز حولها القرآن الكريم وجســدها الإمام الحسين عليه السلام في ثورته المباركة ■

(١) الربيعــي، حســن كريــم، (عقبــة بن ســمعان ووقائع الثورة الحســينية)، بحث منشــور في مجلة ينابيع العدد ١٦ الســنة الرابعة١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص٨.
(٢) المرجع نفسه، ص١٠.
(٣) الطوســي، أبــو جعفــر محمــد بن الحســن، الفهرست، تحق: جواد القيومي، (قم: باقري، ١٤٢٢هـ)، ص٨٥.
(٤) ابــن حجر، العســقلاني، الإصابة فــي تمييز الصحابــة، (بيــروت: دار الكتــب العلميــة، ١٤١٥هـ)، ج١، ص٣٤٧.
(٥) أغا بزرك، محمد محســن الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشــيعة، (بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٣هـ)، ج٢٢، ص٢٣.
(٦) الطوسي، الفهرست، ص٨٦.
(٧) أغا بزرك، الذريعة، ج٢٢، ص٢٣.
(٨) النجاشي، أبو العباس احمد بن علي الاسدي، رجال النجاشــي، (قــم: جماعة المدرســين، ١٤٢٤هـ)، ص١٢٨.
(٩) ابــن نديم، أبــو يعقوب الوراق، الفهرســت، (بيروت: دار المعرفة، بلا)، ص١٣٦.
(١٠) المصدر نفسه، ص١٤٤.
(١١) ذكره فارس الحســون محقــق كتاب الملهوف على قتلى الطفوف، ص٣٦.
(١٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٣٧.
(١٣) ذكره فارس الحســون محقق كتاب الملهوف، ص٤٠.
(١٤) ذكره فارس الحسون، ص٣٥.
(١٥) النجاشي، الرجال، ص١٩.
(١٦) ذكره فارس الحسون، ص٣٥.
(١٧) ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٢.
(١٨) النجاشي، الرجال، ص١٦.
(١٩) المصدر نفسه، ص٣٤٦.
(٢٠) ذكره فارس الحسون، ص٤٠.
(٢١) المرجع نفسه، ص٤٠.
(٢٢) المرجع نفسه، ص٤١.

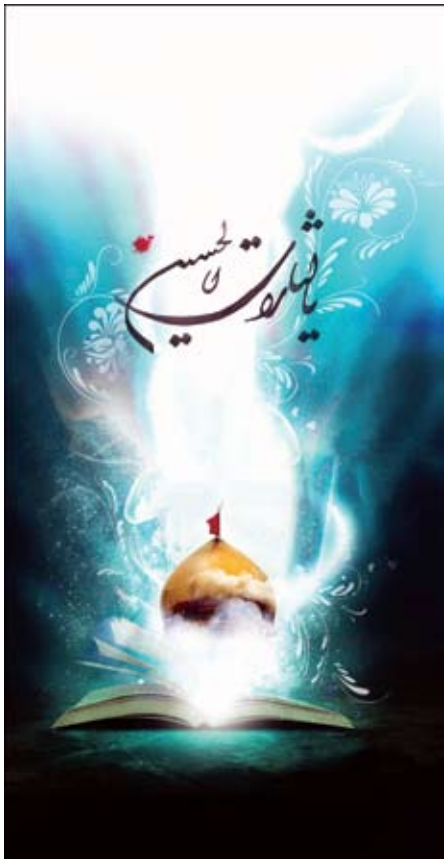

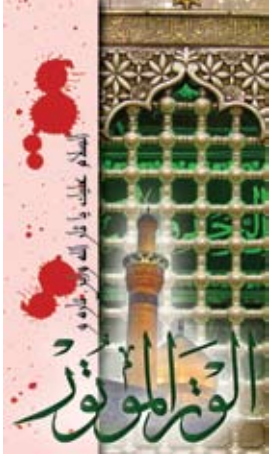

وقفة نقدية مع قصيدة حسينية..

قصيدة الشيخ حمادي الكواز في واقعة الطف

د. حسن الخاقاني •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

الشاعر

ولد الشاعر الشيخ حمادي الكواز في الحلة الفيحاء في سنة (١٢٤٥هـ) على وجه التقريب، وهو أخو الشاعر الحلي صالح الكواز، وقد نشأ محباً للأدب فتخرج على يدي أخيه الشيخ صالح واستفاد من ملازمته للشاعر السيد مهدي بن السيد داود، وكثيراً ما كان يشتبه شعره بشعر أخيه الذي جمع شعره إلى شعر أخيه في ديوان سماه (الفرقدان).

كانت للشاعر الشيخ حمادي الكواز معرفة باللغة والأدب تجري على السليقة، فقد عرف عنه واشتهر أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلا يسيراً ومع هذا فقد جاء بالعجب، كما يقول صاحب البابليات، وكان لا يعرف نحواً ولا صرفاً ولا لغة ولا عروضاً بل ينظم نحتاً من قلبه جرياً على الذوق والسليقة واستناداً على ما توحيه إليه القريحة من دون تغاير في

الأساليب أو اختلاف في التراكيب فإذا اعترض عليه أحد بزلة لحن في العربية يقول: (راجعوا قواعدكم فالقول قولي)، فيجدون الأمر كما قال: أليس هذا من الغرابة بمكان؟ فإذا ضممت إلى ذلك أنه رحمه الله نشأ وعاش في الحلة كوازاً حتى لقب هو وأخوه بذلك وإنه لم يمتهن سوى بيع الأكواز والأواني الخزفية في حانوت له ينتابه الأدباء والأشراف لاستماع شعره، وهو مع ذلك لا يتضجر من الحياة وآلامها ويضج من نكد الدنيا وجور أيامها بقوله:

أمسي وأصبح والأيام جالبة
لي أحداثها بالشر والشرر
تأتي فتمضي إلى غيري منافعها
ولست أعرف غير الضر والضرر
وفي الشبيبة قد قاسيت كل عنا
إذاً فماذا أرى في أرذل العمر
إن كان آخر أيامي كأولها
أعوذ بالله من أيامي الأخر

ومما يشهد له به من بديع القول قوله في رثاء ولد صغير مات له وقد دفن في المقبرة المشهورة حول مشهد الشمس:

ليهن محاني مشهد الشمس أنه
ثوى بدر أنسي عندها بثرى القبر
وكان قديماً مشهد الشمس وحدها
فعاد حديثاً مشهد الشمس والبدر

وفاته

اختلف في سنة وفاته لكن الأرجح هو سنة (١٢٨٣هـ) وعمره (٣٨) عاماً. ونقل نعشه إلى النجف الأشرف في وادي السلام، واتفقت بعد وفاته بقليل وفاة خاله الشيخ علي العذاري فقال أخوه الشيخ صالح يرثي أخاه وخاله معاً في قصيدة مطلعها:

وقع السيف فوق جرح السنان
خيراني لأي جرح أعاني

رحم الله هذا الشاعر المبدع الذي أنطقته الموهبة الإلهية لتعبر عن العقيدة الإسلامية، وحب أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما السبط الشهيد في أرض كربلاء الإمام الحسين عليه السلام. وطوبى له.

القصيدة

أدهاك ما بي عندما رحلوا
فأزال رسمك أيها الطلل
أم أنت يوم عواذلي جهلوا
شوقي علمت فراعك العذل
لا بل أراك دهتك عاصفة
أبلت قشيبك بعدما اشتملوا
لو كنت تنطق أيها الطلل
ربما اشتفى بك واله يسل
وكأنما وربـاك قاحلة
مني نحول الجسم تنتحل
فتعير قلبي منك نار جوى
أنّبته كيف النار تشتعل
ومن العجائب أن لي ديماً
تروي صداك وعندي الغلل
علّمتَ أجفاني البكا فعلمـ
ـن السحائب كيف تنهمل
ساق الهوى وحنيني الزجل
مطراً إليك سحابه المقل
ومن الأحبة إن تكن عطلاً
ما أنت من عشاقهم عطل
ومؤنب ظن الغرام به
لعباً فجد وجده الهزل
وأتى يروم بي العزاء وقد
رحل العزا عني مذ ارتحلوا

ومن الجوى لم تبق باقية
فيّ الخطوب لمعشر عذلوا
مهلاً هذيم فليس لي أبداً
صبر يصاحبني ولا مهل
قتل الأسى صبر بمعضلة
أبناء فاطمة بها قتلوا
بأماثل القوم الذين بهم
بين البرية يضرب المثل
ومهذبين فما بجودهم
نكد ولا بسيوفهم كلل
من كل مشتمل بعزمته
وبحزمه في الحرب معتقل
يمضي إذا ازدحم الكماة وقد
كهم الضبا وتقصف الأسل
ويخوض نار الحرب مضرمة
فكأنما هي بارد علل

وشمردل وصل الثناء به
غاياته ولأحمد يصل
بسحاب صعدته وراحته
غيثان منبعث ومنهل
وبيوم معركة ومكرمة
أسد هزبر وعارض هطل
وسرت تحوط فتى عشيرتها
من آل أحمد فتية نبل
وتحف من أشرافها بطلاً
شهد الحسام بأنه بطل
وأشم خلق للعلاء به
نسب بحبل العرش متصل
ذو المجد ليس يحل ساحته
وجل وقلب عدوه وجل
وأخو المكارم لا بواردها
ظمأ ولا لغزيرها وشل

أبــداً فلا اللاجي به وجل
كلا ولا الــراجــي له حجل
والمستقاد له جبابرة الأشر
اك وهـــي لــعــزه ذلــل
ومقوضين تحملوا وعلى
مسراهم المعروف مرتحل
ركبوا إلى العز الردى وحدا
للموت فيهم سايق عجل
وبهم ترامت للعلى شرفاً
إبل المنايا السود ولا الإبل
حتى إذا بلغ المسير بهم
أقصى المطالب وانتهى الأمل
نزلوا بأكناف الطفوف ضحى
وإلى الجنان عشية رحلوا
بأماجد من دونهم وقفوا
وبحبهم أرواحــهــم بذلوا
وعلى الظما وردوا بأفئدة
حرى كأن لها الضبا نهل
في موكب تكبو الأســود به
ويــزل مــن زلــزالــه الجبل
فاض النجيع وخيلهم سفن
وحمى الوطيس وسمرهم ظلل
وعجاجة كالليل يصدعها
من قضبهم ووجوهم شعل
حتى إذا رامت بقاءهم الـ
ـدنيا ورام نداهم الأجل
بخلوا على الدنيا بأنفسهم
وعلى الردى جادوا بما بخلوا
وعن ابن فاطم للعدى كرما
أجسامهم شبح القنا جعلوا
ولآل حــرب ثــار بعدهم
من آل طه الفارس البطل
جاءت وقائدها العمى وإلى
قتل الحسين يسوقها الجهل
بجحافل بالطف أولها
وأخيرها بالشام متصل
ملؤوا القفار على ابن فاطمة
جنداً وملء صدورهم ذحل
طم الفلا فالخليل تحتهم
أرض وفوقهم السما ذبل
وأتــت تحاوله الهوان وهل
للشهم عن حالاته حول
فسطا وكاد الكون حين سطا
يقضي عليه ذهابه الزجل
والأرض لما هــز أسمره
بين الكتائب هزها وهل
فأعجب لتأخير العذاب وإمها
ل الإلــه لهم بما عملوا
مالوا إلى الشرك القديم وعن
ديــن النبي لغيهم عدلوا
نصروا يزيد وأحمداً خذلوا
الله من نصروا ومن خذلوا
حتى اغتدى بالترب بينهم
نهب الصوارم وهو منجدل
تروي الأسنة من دماه وما
لأوام غــلــة صــــدره بلل
عجباً لهم أمنوا العذاب وقد
علموا هناك عظيم ما عملوا
أيموت سر الكون بينهم
والكون ليس يحله الأجل
وشوامخ العلياء من مضر
أودى بهن الفادح الجلل
فهوت لهن على الثرى هضب
وسمت لهن على القنا قلل
والأرض راكــدة الجوانب لا
يندك منها السهل والجبل
ورؤوس أوتاد البلاد ضحى
نــاءت بها العسالة الذبل

لا كالأهلة بل شموس علاً
بسماء مجد أفقها الأسل
وإلى ابن آكلة الكبود سرت
ببنات فاطم أنيق هزل
أسرى على تلك الجمال وقد
عز الحمى ودموعها بلل
وعلى يزيد ضحى بمجلسه
قد أوقفتها المعشر السفل
لا من بني عدنان يلحظها
نـدب ولا من هاشم بطل
إلا فتى نهبت حشاشته
كف المصاب وجسمه العلل
وشفاه رأس المجد ينكثها
بـالـخـيـزرانـة أكـوع رذل
فأعجب لآخـر أمـة ركبت
في الغي ما لم تركب الأول
هـذي فعالهم ومـا فعلت
أرجاس عاد بعض ما فعلوا
أبني النبي ومـن بحبهم
يعطى المراد ويبلغ الأمل
يا من إذا لم يسألوا وهبوا
أضعاف ما وهبوا إذا سألوا
والعاملون بكل ما علموا
والعالمون بكل ما عملوا

التحليل

المقدمة الطللية:

لقد جاء بنـاء المقدمة الطللية محكماً إذ اسـتفرغ فيه الشـاعر عاطفته وحزنه لتكون الوقفة الطللية أداة فنية استجمعت مفاصل المصيبة وعبـرت عنها فأجادت التعبير عن الحزن والأسـى، ولو شـئنا أن نقف في وقفـة تحليلية دقيقة لوجدنا أن هذه المقدمة كانت تسـتمد مقومات بنائها من مكونات المصيبة نفسـها، فقد بدأها بالاسـتفهام الموجه للطلل بقوله: أدهـاك...؟ والداهية من أسـماء الموت العظيم المقتـرن بمصيبة عظمى، وهذا ما جرى على آل النبي ﷺ في كربلاء، ثم قـال: عندما رحلـوا، والرحيل كناية عن الفرق الأبـدي المتمثل بالموت وقد كرر الشـاعر الفعل رحل ومشتقاته كثيراً في القصيدة، وثلاث مرات في القوافي وحدها.

ثم جاء الشـطر الثانـي ليعمل تحت ظل المهيمنة نفسـها، مهيمنـة الانطفاء والتحول إلـى الموت، مسـتعملاً الفعل الماضـي (أزال) والـزوال مـن قرائـن الموت والرحيل إلـى العالم الآخر، ولم يكتف الشـاعر بهذا الذي بدأ به بل يعمق الإحسـاس بوقع المصيبـة ليضرب في البيـت الثالث عما سـبق أن ذكره ليدخل في مصيبة أعظم من الموت نفسه، فقال: لا بل أراك دهتك عاصفة، والعاصفة هنا ترمز إلى وقع الموت الشديد الذي يقتلع الحيـاة من جذورهـا، وما يرسـخ هذا التخريـج قوله في الشـطر الثاني: أبلت قشـيبك بعدمـا احتملوا، فقد اسـتعمل الفعل الماضي المسـند إلـى تاء التأنيث العائدة على العاصفـة، وبذلك أيد وقوع الحدث الجلل، وأبد أثره يا ذهاب ملامح الحيـاة، والفاعـل هـو الرحيـل أيضاً، فالطلل رمـز الحياة السـابقة، والرحيل رمـز الموت الـذي قضى علـى الحياة، ولعل الـذي يؤكد ذهاب الحياة، قوله: لو كنت تنطق أيها الطلل، فقد خاطب الطلل على أنه فاقد الحياة وقد حل الصمت به، مسـتعملاً لذلك أداة الامتناع (لو) أي أنه أقصى احتمال الحيـاة عنه تماماً وأفرغه

منها ليمحضه إلى الموت وحده.

ثم يأتي البيت الخامس على بعض مكونات الطلل ليفرغها من الحياة أيضاً، ويسلمها للموت بقوله في السطر الأول: وكأنما وربك ناحلة، فقد وصف رباه بالنحول، أي الموت أيضاً، والربى تقترن بالحياة غالباً لما يصبها من وابل السماء وقطره فتعشب الأرض به، وقد نسب إليها الشاعر بدلاً من ذلك النار في البيت السادس، والنار تعمل هنا باتجاهين:

الأول: تأكيد الموت في ربى الطلل ونفي الحياة المطلق عنهن فقد حلت النار فأحرقت مظاهر الحياة ولا أمل بها بعد.

الثاني: اتجاه رمزي، إذ سيكون للنار موضعها من القصيدة حين يشعل أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم النار في خيامهم بعد مقتل الحسين عليه السلام في كربلاء، وهو أمر عجب حقاً، إذ كيف يمكن أن يصدق العقل أن أمة تشعل بيت نبيها بالنار وهي ما زالت تعلن أو تدعي التمسك لدينه وولايته، وهذا الذي دعا الشاعر إلى القول في البيت السابع: ومن العجائب... فهو يتعجب من هذا التناقض واللبس الذي أبداه المسلمون تجاه دينهم ونبيهم وآل نبيهم فعبر عن ذلك باجتماع الماء والعطش وحر العطش.

إن هيمنة الموت تظل تعمل في المقدمة، وسيمتد أثرها في بقية النص، ممثلة بالرحيل أو الزوال أو غيرها من المترادفات التي تتوافر بين يدي الشاعر، أما السعي إلى إيجاد البديل عن الموت، أي الحياة، فقد ظل أملاً مرتجى يقصد إليه بالدعاء والتمني ولا تكاد تناله اليد وهذا ما يظهر في البيت التاسع الذي

تقدم بدعاء للسقيا، ولاشك في أن الدعاء بالسقيا منبئ عن تمكن الموت، فهو من مسلمات التقاليد العربية من جهة، وهو يقابل العطش المرادف للموت من جهة ثانية، وقد كان العطش أظمأ قلوب آل النبي ﷺ في كربلاء فكأنه شارك في قتلهم أيضاً.

ينتقل البيت العاشر إلى قضية الموالاة والحب وهي الدافع إلى إنشاء هذا النص، والتمسك بآل البيت، فيتجه الخطاب إلى الطلل من جديد مفتتحاً موضوعاً جديداً ذا مهمة تعويضية، فبعد أن حلّ الموت بالطلل وأيقن به سعى إلى التعويض عن ذلك الشعور بشعور جديد هو الحب، والحب رمز من رموز الحياة، وهو الذي يمكن أن ينعش الطلل ويبعث فيه الحياة من جديد بعد تأكد الموت فيه، أي أن الشاعر يسعى إلى التمسك بطرف آخر من أطراف العلاقة بالطلل، فإذا كان الطلل قد مات بموت الأحبة ممثلاً بالرحيل، فإنه يمكن أن يحيى بالتمسك بحبهم، وبذلك تعمل ثنائية: الموت/ الحياة التي هي من السمات الرئيسية التي رسمت الطلل بوصفه تقليداً فنياً درجت عليه القصيدة العربية في مختلف مراحلها، على أن لهذه الثنائية الكبيرة مرادفات كثيرة تعمل أحياناً في الحقل الدلالي نفسه، أو في المحول الدلالي لطرفي الثنائية أحياناً، وهذا ما أتاح للشاعر التنقل بين هاتين المفردتين ليوجد بينهما تقابلاً، ولا أقول تناقضاً، لأن التقابل يمكن أن يقود إلى الترابط الجدلي بين الطرفين منتجاً طرفاً جديداً، وهذا ما حصل فعلاً، فلم يكن الموت نافياً للحياة، قاضياً عليها، بل انبعثت الحياة من قلب الموت نفسه، إذ كان موت آل النبي ﷺ مؤذناً بحياة جديدة، ملؤها الحب الأزلي الخالد الذي تمسك به المؤمنون.

لقد استجمعت المقدمة الطللية في عشرة أبيات ونيف رمزياً كل ما يمكن أن تقوله القصيدة تصريحاً، وهذا من مدارك التوفيق التي بلغها الشاعر.

حسن التخلص:

جعل الشاعر الصبر مفتاحاً لحسن تخلصه في القصيدة، فقد نفى عن نفسه تملك الصبر في البيت الرابع عشر، ثم عاد إليه ليقتله في البيت الخامس عشر. وما ذلك إلا ليعبر عن مزيد تفجعه وحزنه للمصاب الذي سيكون غرضه الرئيس في القصيدة كلها، ولقد وفق إلى ما أراد خير توفيق، فرحيل الصبر يعني رحيل حاجز يمنع الولوج في الغرض. بل يعطي تسويغاً فنياً ونفسياً مقبولاً إلى ذلك. فما بعد الصبر إلا الجزع للفجيعة، وهي تستحق منه ذلك التفجع والأسى، فالمصيبة كبرى، وهل يكون مقتل الحسين عليه السلام إلا مصيبة كبرى.

الغرض الرئيس: يفتح البيت الثاني من البيت الخامس عشر باب الدخول إلى الغرض الرئيس بلفظ من ألفاظ العموم (أبناء فاطمة) ويستمر به مستعملاً ضمير الجمع في البيتين اللاحقين الذين أخلصاهما لمديح العترة الطاهرة جميعاً، ثم يستعمل الإفراد، وإن كان ما يزال يعمل تحت ظل ضمير الجمع:

من كل مشتمل بعزمته
وبحزمه في الحرب معتقل

فهو إفراد أريد به لفظ العموم أيضاً، مستجمعاً من دون تخصيص، ولكنه يتجه

نحو التخصيص من دون الإعلان الصريح فيه، إذ يتدرج إليه الوصف بطريقة فنية ناجحة.

تسير الأبيات باتجاه تعزيز صفتي الشجاعة والكرم، بل مكارم الأخلاق في أفراد البيت المحمدي، ولاسيما أبرز أعلام هذا البيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لينتقل فيه إلى الإمام الحسين عليه السلام في البيت الحادي والثلاثين مبتدأً بالواو، حرف استئناف استعمله الشاعر بمثابة فاصلة غير معلنة ينتقل بها من موضع إلى آخر في تسلسله السردي، وهو هنا يبتدئ مسيرة الإمام الحسين عليه السلام من لحظة الرحيل، ولا ننسى الدلالة الرمزية للرحيل التي سبقت الإشارة إليها إذ جاء البيت هكذا:

ومقوضين تحملوا وعلى
مسراهم المعروف مرتحل

فقد جاءت الواو وبعدها كلمة (مقوضين) بصيغة الجمع. والتقويض يعني هدم بناء قائم ليشير هذا إلى ما سيحدث من تقويض البيت المحمدي بقتل عميده وسيده وصاحب الأمر فيه، في زمانه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ثم قال: تحملوا ليبدأ المسيرة نحو ذلك المصير، وقال في الشطر الثاني: مسراهم، وهو المسير ليلاً، واتبع ذلك بفعل ارتحال مسند إلى المعروف، ولاشك في أن غياب الإمام الحسين عليه السلام عن ساحة الدين قد غيب معه المعروف، أي كل حق معترف به، وما بعد الحق إلا الباطل، وقد ساد الباطل بعد ذلك زمناً امتدت حقبه طويلاً، وبعد هذا يجعل الأبيات اللاحقة سرداً فنياً لما جرى في المعركة، يليها العجب مما جرى وكيف استقامت الأرض على مسيرتها برغم هذا الفادح الجلل.

أما الجزء الأخير من القصيدة فهو ندب ورثاء للحسين عليه السلام والفتية الذين قضوا معه مبيناً ما تلا ذلك من أحداث الأسر وشماتة العدو، وما جرى على آل البيت عليهم السلام من مصائب وأهوال تبعت تلك الواقعة العظمى في التاريخ.

القراءة الفنية:

إن من حق القصيدة على الناقد أن يكون حكمه فيها مستنداً، من بين ما يستند إلى الحقبة الزمانية التي كتبت فيها، آخذاً بنظر الاعتبار مجمل مكونات السياق العام لها، وبذلك يمكن النظر إلى هذه القصيدة بأنها تنتمي إلى زمن كان الغالب على أهله العناية بالمحسنات اللفظية والمعنوية، والإلتفات إليها باهتمام، ولذلك كثر فيها، شأنها شأن الشعر في ذلك الزمان، بعض المظاهر التي ربما عابها الناقد الحديث، أو عدها من مظاهر التقليد البائدة التي تقعد بالنصوص ولا ترتقي بها، ولكن النظر المنصف الحصيف قد يجد بعض ما يسوغ ذلك، ومن تلك المظاهر أذكر الآتي من غير تمثيل:

١ـ الطباق:

وهو مصطلح بلاغي وظاهرة فنية قديمة ركز شعراء الحقبة المظلمة على الإكثار منها، وقد كثر استعمالها في هذا النص بمختلف أشكالها المعنوية واللفظية، وما ذاك إلا لأمرين:

أولهما: ما سلفت الإشارة إليه وهي اهتمام الشعراء بالطباق والقصد إلى استعماله بوعي، وذلك لما لديهم من مقومات الصنعة الفنية وعلو الكعب

فيها.

ثانيهما: يمكن أن ينتمي إلى اللاوعي الفني ـ إن كان هذا الاستعمال صحيحاً ـ لدى الشاعر، فالشاعر منقسم الذهن بين طرفي ثنائية اقتسمت بناء القصيدة ولذلك يأتي الطباق منساباً لا تكلف فيه، وهكذا ما يمكن أن ينطبق على مفاصل كثيرة إذا تجاور الأمران: الطباق المصنوع صنعة فنية واعية أو الطباق الذي ينسل إلى الذهن من دون وعي الشاعر أو القصد إليه.

٢ـ الجناس:

وهو من الظواهر التي كثر الميل إليها في شعر هذه الحقبة أيضاً، لدواعي الصنعة الفنية، ولإظهار ما لدى الشاعر من قدرة على الاشتقاق أو الإعلان عن خزين الشاعر من مفردات اللغة، ولذلك تأتي الألفاظ متقاربة أو مترادفة، لازحام ذهن الشاعر بها، فما أن يضغط على حرف ما حتى تقفز أمامه عدة كلمات متجانسة.

لكن الملاحظ على هذه القصيدة أن الجناس والتجنيس لم يأت ناشزاً في أبياتها، بل جاء مناسباً، مستساغاً من دون عناء في تقبله لأنه اندمج في بنية القصيدة ونسجها، ويمكن تلمس ذلك واضحاً في إنشاء القصيدة أو الترنم بها.

٣ـ رد العجز على الصدر:

ربما ينتمي هذا الأمر إلى الجناس، فرد العجز على الصدر لا يعدو أن يكون اشتقاقاً أو مجانسة أحياناً وبذلك يستطيب الشاعر التلاعب الفني بهذه الكلمات، فما أن يذكر كلمة في الشطر الأول حتى يكون ذهنه المملوء بالكلمات القريبة منها قد هيأ الكلمة المناسبة التي تختم البيت، ولاشك في أن لهذا الفن فائدته العملية في النص إذ يحدث ترابطاً معنوياً يتساوق معه ترابط موسيقي يحفظ للقصيدة وحدتها الفنية والمعنوية التي يعززها الإنشاد.

٤ـ التصريع:

للتصريع وظيفة في القصيدة العربية التقليدية حفظها لنا النقد القديم وهي: الانتقال من غرض بعد الانتهاء منه للولوج إلى غرض جديد، ولكن الشاعر في هذه القصيدة لم يلتزم هذه القاعدة النقدية القديمة، بل جاء بالتصريع من دون مسوغ فني ظاهر، ولعل الدافع وراء ذلك ازدحام القوافي في ذهنه وتزاحمها عليه وهو ما أفقده القدرة على الانتقاء والتروي، فقد صرع المقدمة الطللية وحدها في عدة مواضع كالأبيات الثاني والرابع والتاسع.

إن هذه الظواهر برغم بعض المآخذ عليها تظل في صميم القصيدة إذا ما حوكمت بسياقها الفني والتاريخي العام الذي ولدت في ظله وهي لا تقدح أبداً في نمط البناء وغايته الشريفة التي أنشئ من أجلها، فلقد وفق الشاعر في التعبير عن عاطفة صادقة وحزن مستكن في داخله مستنداً إلى عقيدة صادقة ورؤيا واضحة جعلت البناء الفني للقصيدة متماسكاً، ووحدتها ظاهرة بينة لترد عملياً وفنياً على مؤاخذات النقاد المتعجلين الذين رموا شعر تلك الحقبة بكثير من الصفات التي لا تخلو من الإجحاف والتجني الكبيرين، وما ذلك إلا لتسرعهم واستباقهم بالأحكام قبل المعاينة والدراسة العلمية الموضوعية بعيداً عن العاطفة والتعصب الفني، بل العقائدي أحياناً ■

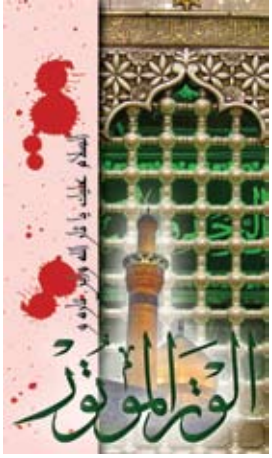

قصيدة:

حديث الطفوف

عبد الأمير جمال الدين •

دَع الدمعَ ينظمُ نَثر الكلام ... وينثرُ شعراً بديع النظام
وقطع فؤادك في بحره ... وزنه بحب الشهيد الإمام
فعول بقلبك يوم الطفوف ... كفعل الضرام بتلك الخيام
وطفل غذاه نبي الهدى ... وزكاه عن زلة أو آثام
يثير لأدمعه دمعة ... ويبكي له بالدموع السجام
ويحمله فوق أكتافه ... صغيراً ويبدأه بالسلام
ولم ينج حتى أحباؤه ... إذا ما شكى من سماع الملام
ويسكب في فمه علمه ... بريق به الوحي أزكى مدام
فينمو لأحمد ريحانة ... سقتها السماء بروح التسامي
إلى أن غدا باسقاً غصنه ... يعانق زهر النجوم بهام

* * * * *

رماه الزمان بفقد الرسول ... بأول ما ناله من سهام
وثنى بفقد الأب المرتضى ... وفقد أخيه الزكي الهمام
ومن قبل هز الردى جرحه ... فأفقده الأم والجرح دامي
كذلك أضحى ومن حوله ... فلول الدجى جندت للزحام

فريداً يرى الدين في محنة ... ونخوة أتباعه بالرغام
وجن جنون الفساد الذي ... يبث العمى بعد حين التعامي
وأصبح ذكر نبي الهدى ... كأن عليه مضى ألف عام
وفي القصر عاد أبو مرة ... بصورة أشياخ بدر يرامي
فثم الخمور وثم الفجور ... وليل الشرور وفعل الحرام
وذي الجاهلية قد أقبلت ... بقائدها الواله المستهام
فغنى لها كل أنغامها ... وزاد عليها بغير احتشام
تظن بموت نبي الهدى ... بأن الوغى قد خلت من محامي

* * * * *

فكان حسين الفدا أحمداً ... وكان علياً بسوح الصدام
ولون وجه الدجى بالدما ... فصوح لون الدما بالظلام
فثار وأصحابه حوله ... نجوم تحف ببدر تمام
لديه من المصطفى همة ... غذاه بها قبل عهد الفطام
وهيبة حيدرة عنده ... يغنيه عنها نشيد الحسام
فزف إلى الموت في فتية ... أباة، تقاة، ثقات، كرام
وهم عند ربهم يرزقون ... بجنات عدن وأسمى مقام
يطوفون حول ابن بنت الرسول ... طواف الحجيج ببيت حرام
يفدونه بمهاج القلوب ... وقاءً له من جفاة لئام
ولم يجدوا مثل أرواحهم ... سياجاً لروح النبي التهامي
ولم يشهدوا الخطب من بعدهم ... وقلب النبي من الخطب دامي
فريحانة المصطفى قطعت ... وماتت هنالك والغصن ظامي

* * * * *

يناديهم السبط يا أخوتاه ... أما من نصير لدفع الطغام؟!
فما كان إلا جواب السيوف ... تقطعه إرباً بانتقام!
فيا عظم الله أجر الرسول ... وأجر البتول وحامي الذمام

وأجـــر الـــذيـــن بـحـب الحسين ... قضوا نحبهم في سجون الظلام
حديث الطفوف حديث العيون ... يترجم خطب الأبـــاة العظامَ
حـديـث الـرضـيـع صـريـع الظما ... سـقـاه الـعـدى مـن دم بالسهامَ
حـديـث الـخـيـام ونـــار الخيام ... كـــوت كـل قـلـب بـنـار الـخـيـامَ
حـديـث لـــرأس الحسين الـــذي ... يـطـاف بـــه فـــي بـــلاد الأنـــامَ
حـديـث الـحـرائـر تـسـبـى إلـى ... قـصـور لـعـيـن بـــأرض الـشـامَ
حـديـث الـرسـالـة فـي محنة ... تـصـارع لـيـلاً شـديـد الـقـتـامَ
حـديـث الـدمـوع ومـــن دونـــه ... بـنـات الـقـوافـي ونـثـر الـكـلامَ
فيا عين إمـا ذكـرت الحسين ... فصبي الـدمـوع كصب الغمامَ
ويـا قـلـب إمـا ذكـرت الشهيد ... فـنـح بـالـبـكـاء كـنـوح الـحـمـامَ
ولـيـس كـثـيـراً إذا مـا قضيت ... فقد قـوض الدهر صـرح الكرامَ
حســين حسـين، حســين حسـين ... حســين حبيبي حســين إمـامي ■

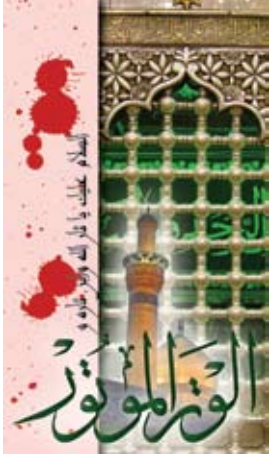

العوامل النفسية وأثرها في النهضة الحسينية

ثائر عباس النصراوي ●
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للثورة:

إن أصل كلمة (ثورة) هو (ثار) وثار الشيء ثوراً وثوراناً بمعنى هاج أو اضطرب أما المعنى الاصطلاحي فهو تغيير جوهري في النظام السياسي للدولة من شأنه استبدال طبقة من الحكام بطبقة أخرى، وهناك ثورات تطلب التغيير الشامل لكل نواحي الحياة ومفاصلها. ومن مفاخر الثورات، أنها صحوة للشعب، وأنه بها تزداد ثقته بنفسه ويشعر بها المواطن أنه أكثر كرامة، ويرتفع بسببها مستواه على جميع النواحي سواء المادية أو المعنوية.

والثورة إن لم يكن لها برنامج عملي وأهداف تتجاوز تغيير النظام إلى تغيير المجتمع نفسه فهي ليست بثورة، وهذا ما ينطبق على ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي حاولت تغيير البعد الفكري للمجتمع بالمستوى الأول فضلاً عن النواحي الأخرى لذلك المجتمع، ودعوته إلى مساره الصحيح الذي اختطه له صاحب الرسالة الإلهية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: هدف وغاية الثورة الحسينية:

تبتدئ السنة الهجرية بذكرى أبي عبد الله عليه السلام التي هي ذكرى مستمرة بالنسبة للمسلمين ومدرسة مفتوحة دائماً لكل

طالب في الحياة.

وما أحوجنا إليها في هذه الأيام لما تحفل به من دروس حية على نهج مدرسة القرآن في التاريخ حيث إنه كما بين الله جل وعلا في آيات كثيرة ليس للذكرى وليس للتزكية ولا الافتخار فقط، وإنما هو عبرة ودرس للحاضر، فماضي البشر كحاضرهم وكمستقبلهم في القضايا الكبرى، وأكبر القضايا هي قضية (العدالة في المجتمع) وقضية (الكمال في السلوك).

وهذا هو هدف وغاية الرسائل السماوية منذ آدم عليه السلام إلى نبينا الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالبشر دائماً منذ قابيل وهابيل يريدون أن يكونوا عادلين في مجتمعاتهم وكاملين في سلوكهم، أو أن يكون المجتمع في نظامه عادلاً. وثورة الإمام الحسين عليه السلام هي التعبير الساطع عن هاتين المسألتين، مسألة الكمال في السلوك ومسألة البحث عن العدالة في المجتمع. فالذين اتبعوا الإمام الحسين عليه السلام، سواء في زمانه أو في زماننا ـ يمثلون الكمال في السلوك، أو السعي نحو الكمال في السلوك، والعدالة في المجتمع.

ثالثاً: الثورة وأنواعها عند الأئمة:

إن الثائر الذي يبحث عن العدالة ويعمل من أجلها قد يكون عمله بالسلم، كما أثر الإمام الحسن عليه السلام أن يعمل بالسلم، لأن الظروف قضت عليه ذلك، أو ما بعد الإمام الحسين عليه السلام منذ الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الإمام العسكري عليه السلام، لذا لنا أن نسأل ترى هل كان الإمام الحسن عليه السلام ثائراً؟ أو كان موالياً للنظام الأموي؟ ومن بعده الأئمة من الباقر إلى العسكري عليهم السلام هل كانوا ثواراً؟ أم كانوا مسالمين وموالين؟

لا شك أنهم كانوا ثوراً. وكانوا في أعلى الدرجات الثورية وإن كانوا يمارسون الثورة بأسلوبهم وحسب ظروفهم.

فالثورة ليست هي العنف، وليس التعبير عن الثورة دائماً بالسيف. لذلك فإن موقف الإمام الحسن عليه السلام وظروفه هي التي تحدد ما إذا توجب عليه الثورة بالسيف أم لا.

رابعاً: الفرق بين معنى الثورة والفتنة:

وقد يقول قائل يمكن للخوارج أن يسموا حركتهم باسم (الثورة) فهل يصح ذلك؟ بكل المقاييس لا يمكن أن نسمي حركة الخوارج ثورة لأنهم لم يرفعوا أي شعار يمكن أن نطبقه على المعنى اللغوي أو الاصطلاحي لكلمة الثورة، فقد كانوا أعداء لأمير المؤمنين علي عليه السلام على كل الأصعدة، أعداؤه في التوجه السياسي، وأعداؤه في الحياة العامة، وفي النهج الفكري، بل أعداءه في كل شيء.

إذن لا يمكن أن نسمي حركة الخوارج

ثورة بل نسميها فتنة أو تمرد.

على عكس حركة الإمام الحسين عليه السلام الذي رفع شعار الإصلاح الديني للمجتمع الذي عاش فيه وهذا الشعار مصداق لقوله عليه السلام: (ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله). فهذه هي دعوة وشعار ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتي تنطبق عليها كل المعايير والمقاييس التي يمكن تسميتها بالثورة. بل هي الثورة الحقه لأنها قامت بوجه نظام فاسد وظالم أهلك الحرث والنسل وعاث في الأرض فساداً، لذلك فهي ثورة حق بوجه الظلم، بل هي تمثل الصراع بين الخير والشر على مدى العصور كأفضل تمثيل بل هي إتمام للرسائل السماوية فلولاها لانتهت عبادة الله وآلت إلى الوثنية الجاهلية.

خامساً: العوامل النفسية وأثرها في الثورة الحسينية:

الإنسان في كل مجتمع يخاف أو يأمن، فالإنسان الذي يأمن يتصرف تصرف الآمن، أما الإنسان الذي يخاف فإنه يتصرف تصرف الخائف. لكن مما يخاف الإنسان؟

تارة يخاف الإنسان من الحق، فيفتعل تمرداً ضد الحق، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عن قوم تركوه ولحقوا بمعاوية ما معناه (أنهم عرفوا الحق وتركوه إلى الظلم والى أثره). أما الإنسان العادل فإنه يخاف من الباطل، الحسين عليه السلام من أي شيء خاف؟ ما الذي كان يخيف أنصار الإمام الحسين عليه السلام؟ فالحسين لم يقنع أصحابه بأن يتبعوه، بل حاول إقناعهم أن يتركوه فقال لهم (إن هذا الليل قد أقبل فاتخذوه جملاً واتركوني، فالقوم لا يطلبون غيري) فحاول إقناعهم بتركه ولم يقنعهم باتباعه. إذن ما الداعي الذي دعاهم إلى اتباعه؟

الداعي هو أنهم كانوا خائفين مثله، فكان يجمعهم خوف واحد من شيء فما هو؟ هل كان خائفاً على منصبه؟ أم كان خائفاً على ثروته أن يأخذوها؟ أم كانت له مطالب وظيفية ولم يعطوه إياها؟ من أي شيء يخاف إذاً؟.

كل هذه الأمور كانت ميسرة في منصبه الاجتماعي، ومركزه الديني الفائق كان محترماً ومبجلاً لم يمسه أحد بسوء. فالثروة والأموال كانت متاحة بين يديه على أوسع نطاق، وحتى أصحابه جعلهم من أعيان الناس وكانوا محترمين مبجلين، فإذاً من أي شيء خافوا؟.

إن الخوف الحقيقي لم يكن على الحالة الخاصة، لم يكن على الحق الخاص، فالحق الخاص كان محفوظاً، فالخوف كان على الكيان العام للأمة، لأن الحسين عليه السلام كان إماماً معصوماً، له مشروعه الدائم والمتحرك وهو المشروع المتمم للرسالة السماوية التي جاء بها النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمشروع الحسين عليه السلام دائم النمو والحركة وهو مشروع إسلامي، وهذا المشروع يبقى حياً ما دام الإسلام، والإسلام حي لأنه هو الذي يدفع الناس إلى الحرية والهداية، فما دامت هذه القيم الخالدة باقية فمشروع الإمام الحسين عليه السلام باقي خالد لأنه لا يهتم بمال أو جاه أو منصب أو أغراض دنيوية زائلة، بل يهتم بالقيم الإنسانية الخالدة.

سادساً: المشروع الرسالي للثورة الحسينية:

إن مشروع الحسين عليه السلام كان مهدداً وليس حياة الإمام الشخصية فقط. فلو وافق الإمام عليه السلام على أن يسكت نصف سكوت،

وليس سكوتاً كاملاً، لأعطيت له كل الدنيا. ولكن ما يتبع هذا السكوت، يتبعه الذل والهوان والتبعية للظالم.

وهذا المشروع كان مهدداً منذ زمن النبي إلى يومنا هذا فالإمام علي عليه السلام كان مهدداً أيضاً فقال عندما كان في طريقه إلى البصرة (إن هؤلاء القوم - أي الظالمين - قد اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، والصالحين حلاباً، والفاسقين حزباً) فكان المشروع الإسلامي برمته في خطر. الخوف إذاً هو الذي يدفع الإنسان إلى التحرك، فمثلاً حينما نفكر نحن في الآخرة فإننا سنموت بعد أيام أو أشهر أو سنين، ويحفر لنا التراب وندفن تحت التراب، ونحاسب قبل القيامة، ونحاسب في القيامة، وبذلك فإننا سوف نخاف وعندما نخاف نقوم بالتحرك والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام خائفاً، فما هو حال عمر بن سعد، هل كان خائفاً حتى تحرك هذه الحركة التي يزعم بها قتال الحسين عليه السلام، وكذلك ما حال شمر بن ذي الجوشن، وعبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، فهل كانوا كلهم خائفين؟ الحقيقة كلهم كانوا خائفين من مشروع الحسين عليه السلام ولذلك تحركوا، لأنهم كانوا خائفين على مصيرهم، فيزيد لم يكن لديه مشروع بل كان لصا متوج بسلطان الإمارة، لص يحاول سرقة المشروع الإلهي المحمدي، كذلك عبيد الله بن زياد فكلاً منهم خاف على مشاريعه الخاصة، التي هي ضد المشروع العام ضد مشروع كرامة وعزة وتكامل البشر.

فهذان الخوفان - الخوف العام والخوف الخاص - أوجدا حركتين متقابلتين متناقضتين، ونتيجتهم كانت ثورة كربلاء. ففي كل ثورة، الثائرون يخافون على مشروع عام يشمل أوسع جماعة من الناس، وهذه النظرة لا تشمل الإسلام فقط بل في كل أرجاء العالم فالظالمون يخافون مشاريعهم الخاصة.

إذن المشروع الإلهي كان يقف في طريقه يزيد، وفي كل زمان، فيوجد خوفان تتفرع عنهما جميع المخاوف التفصيلية، فلو رجعنا قليلاً بالزمان وخصوصاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ حصلت مشكلة السلطة والخلافة وحصلت مؤامرة السقيفة فواجه أمير المؤمنين عليه السلام خوفان، ثم جاءت خلافة عمر فواجه خوفان أيضاً، ثم خلافة عثمان فلم يواجه إلا خوفاً واحدا. فما هما الخوفان؟.

خاف أولاً على الإسلام ككل، وخاف ثانيا على التنظيم الداخلي للمجتمع الإسلامي فهل يستمر الإسلام أم لا؟ وإذا استمر هل ينظم تنظيماً صحيحاً من الداخل أم لا؟ ويؤيد هذا الخوف طرد الإمام عليه السلام لأبي سفيان عندما جاءه وطلب منه البيعة، فطرده لأنه قال عليه السلام في كتاب له لأهل مصر: (حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام). فعندما بدأت الردة أعطى الإمام عليه السلام الأولوية للخوف الأكبر على الخوف الأصغر، هذه قاعدة عقلية أو فقهية فالأمور تواجه بأولوياتها، أو تقديم الأهم على المهم.

فالثورة تنشأ عن خوف، ولكن عن خوف عادل، عن خوف مشروع، عن خوف على المشروع الإلهي، أما الخوف الدنيوي أو الطبقي أو العائلي فلا يجوز أن يخالف من أجله حكم الله.

هذا ما نفهمه من مدرسة الحسين عليه السلام التي هي امتداد لمدرسة الرسالة المحمدية الإلهية ■

طريق مكة ـ كربلاء

مسار صنع التاريخ

استطلاع وتصوير:
محمد عبد الغني السعيدي •

سامراء
الشام
كربلاء
قصر بني مقاتل
الرهيمة
عذيب الهجانات
البيضة
ذو حسم
شراف
العقبة
القاع
النجف
زبالة
الشقوق
الثعلبية
زرود
الخزيمية
الحاجر
مغيثة الماوان
المدينة
الربذة
وادي العقيق
ذات عرق
التنعيم
الصفاح
مكة

كانت مكة قبل ظهور الإسلام مركز نشاط للمسافرين والتجار، وذلك بفضل موقعها الجغرافي على الطرق التجارية القديمة التي كانت تربط المناطق الغنية بجنوب الجزيرة العربية مع كل من مصر وبلاد الشام والعراق، كما كانت مركزاً دينياً يحج إليه الناس منذ بناء الكعبة على يد نبي الله إبراهيم عليه السلام.

والعرب في جاهليتهم كانوا يقومون بتأدية تلك العبادة الدينية بما يتناسب مع فطرتهم ويتواءم مع معتقداتهم.

وعندما أشرق الإسلام بنوره وأضاء ظلمات الجاهلية، أصبح الحج إلى بيت الله الحرام فريضة على كل مسلم مستطيع.

استجابةً لنداء الحق عزَّ وجل كما في قوله: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)[1]. (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[2] وهكذا عادت أهمية مكة بعد ظهور الإسلام، حيث أخذ المسلمون يتوافدون إليها لأداء هذا المنسك.

وفي عهد الخلافة الأول، كان جميع سكان الجزيرة العربية قد دخلوا في دين الإسلام الحنيف، كما أن الإسلام قد انتشر في العراق وبلاد فارس وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا وكذلك دخل الكثير من البلدان في هذا الدين الحنيف، فأصبحت أعداد الحجاج في زيادة مستمرة، مما أوجب عناية خاصة بطرق الحج، وتنبه الناس إلى ضرورة المحافظة على هذه الطرق التي يسلكونها.

وكان الحجاج يواجهون مشقة السفر

والترحال للوصول إلى مكة المكرمة، مما جعل المعنيين يهتمون بطرق الحج ومسالكه.

وظهرت في الدولة الإسلامية وظيفة جديدة تسمى أمير الحاج في كل بلد إسلامي وكانت مهمتها رعاية الحجاج وتأمين وصولهم إلى مكة والعودة بهم إلى بلادهم سالمين. ومن مظاهر اهتمام المعنيين بطرق الحج، أنهم أقاموا محطات على الطرق وحددوا المسافات بين هذه الطرق.

ومن تلك الطرق التي تربط مكة المكرمة بدول العالم الإسلامي:

١ـ طريق الكوفة – مكة.
٢ـ طريق البصرة – مكة.
٣ـ طريق الحج المصري.
٤ـ طريق الحج الشامي.
٥ـ طريق الحج اليماني.
٦ـ طريق الحج العماني.
٧ـ طريق البحرين– اليمامة – مكة المكرمة

طريق الكوفة ـ مكة

يعد هذا الطريق من أهم طرق الحج والتجارة خلال العصر الإسلامي، يبلغ طوله ١٤٠٠ كم، يبدأ من الكوفة وينتهي بمكة.

ولم يقتصر هذا الطريق على أهل العراق فقط بل شمل معظم مسلمي آسيا ممن يسلكون الطرق البرية.

ومن الأسباب التي جعلت هذا الطريق هاماً جداً، وجود الآبار الممتدة على طوله والتي يعود تأريخ إنشائها إلى زمن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام وقسم منها إلى زمن الرومان والنبط.

وتكون محطات الاستراحة الموجودة على طول هذا الطريق إما بئر أو عين ماء أو جبل أو قرية.

وقد أولت الدولة العباسية اهتماماً كبيراً بهذا الطريق لكونه حلقة اتصال هامة بين مركز الخلافة ومكة المكرمة، وبقية أنحاء الجزيرة العربية.

كما عملت على توسيع الطريق حتى يكون صالحاً للاستخدام من قبل الحجاج والمسافرين ودوابهم.

وتشير المصادر التاريخية والجغرافية والآثار الباقية إلى أن مسار هذا الطريق قد تم تخطيطه بطريقة علمية وهندسية متميزة وفي غاية الروعة والجمال[٣]، حيث تم رصف أرضيته بالحجارة في المناطق الرملية والموحلة فضلاً عن تزويده بالمنافع والمرافق اللازمة من آبار وبرك وسدود، كما أقيمت على طول الطريق علامات ومنارات ومشاعل ومواقد توضح مساره، ليهتدي بها من يسير على هذا الطريق.

أمر أبو العباس السفاح بإقامة الأميال (أحجار المسافات) والأعلام على طول الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة وذلك في عام ١٣٤هـ / ٧٥١م.

وقد أمر أبو جعفر المنصور الدوانيقي (مؤسس وباني مدينة بغداد الزوراء) بإقامة الحصون وخزانات المياه في نقاط عدة على طول الطريق.

أما محمد المهدي فقد أمر ببناء القصور على طول هذا الطريق (ما زال عدد منها موجوداً لغاية هذا اليوم).

أما هارون الرشيد فقد أمر ببناء خزانات المياه وأمر بحفر العديد من الآبار

وإنشاء الحصون على طول هذا الطريق، وقام بتعيين ولاة يشرفون على صيانة وإعمار الطريق أولاً بأول وكانت زبيدة قد أمرت وأشرفت على صيانة وترتيب هذا الطريق حتى أنه سمي فيما بعد باسمها.

وقد أطلق على هذا الطريق أسماء عديدة منها:

١ـ درب زبيدة.
٢ـ درب الإبل.
٣ـ الطريق السلطاني.
٤ـ طريق الحج.

بلغ عدد المحطات الرئيسة في هذا الطريق سبعاً وعشرين محطة ومثلها محطات ثانوية تسمى كل واحدة منها (متعشى) وهي استراحة تقام بين كل محطتين رئيسيتين.

حينما سلك الإمام الحسين عليه السلام هذا الطريق في رحلته الخالدة إلى العراق عام ٦٠هـ لم تكن فيه محطات استراحة كثيرة كما هي عليها الآن بل كانت قليلة.

لذا تعد هذه الدراسة التي أقوم بها، جديدة من نوعها ولم يسبقني إليها أحد ـ حسبما أعلم ـ حيث حددت مكان كل محطة من محطات هذا الطريق ولأي مدينة تتبع إدارياً اليوم كما قمت بوضع العديد من صور هذه المحطات و قمت بتصوير تلك المنازل الموجودة داخل العراق ومن جهات مختلفة أما بالنسبة للمحطات الموجودة داخل حدود المملكة العربية السعودية فقط حصلت عليها بطرق عدة ومن الله التوفيق.

تواريخ هامة في رحلة الإمام الحسين عليه السلام

١ـ خرج الحسين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد ٢٩ رجب عام ٦٠ هـ (٧ آيار ٦٨٠م).

٢ـ دخل عليه السلام إلى مكة المكرمة ليلة الجمعة ٤ شعبان عام ٦٠هـ (١ تشرين الثاني ٦٨٠م).

٣ـ أقام عليه السلام في مكة من ٤ شعبان إلى ٨ ذي الحجة عام ٦٠ هجـ (أربعة أشهر وأربعة أيام).

٤ـ خرج عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء ٨ ذي الحجة عام ٦٠ هجرية.

٥ـ وصل الركب الحسيني يوم الخميس إلى كربلاء يوم ٢ محرم ٦١ هجـ.

٦ـ مدة الرحلة من مكة إلى كربلاء ٢٣ يوماً[٤].

إن المحطات (أو المنازل) الممتدة على طول الطريق من مكة إلى كربلاء، نزل الإمام عليه السلام في بعضها ليلة أو ليلتين، وبعضها مرّ عليه السلام بها مرور الكرام.

خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبيل خروجه من مكة المكرمة إلى العراق[٥]:

(بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله. خُطَ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف!

وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً. لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين.

لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده،

ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موّطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني

راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى)[٦]، والنواويس التي ذكرها الإمام عليه السلام هي الأرض التي فيها الآن قبر الحر بن يزيد الرياحي وكانت تسمى سابقاً الجمّالية.

تفصيل الطريق

١- مكة (نقطة الانطلاق):

N ٢١ ٢٥ E ٤٩ ٣٩

تقع غرب شبه الجزيرة العربية، يحدها وادي إبراهيم المنحصر بين سلسلتي جبال من جهة الشرق والغرب والجنوب من الشمال جبال الفلق وقعيقعان ومن الجنوب جبل أبي حديدة ومن الغرب جبل كدي ومن الجنوب الشرقي جبل أبي قبيس.

ترتفع مدينة مكة عن مستوى البحر أكثر من ٣٠٠ م، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٦ كم٢، ومن أسمائها (مكة، أم القرى، أم رحم، الحرام، البلد الأمين، بكة، الوادي، معاد، البلدة، القرية، كوثى، الباسة، الحاطمة، البيت العتيق)[٧]. لها ثلاثة مداخل رئيسية:

أ ـ المعلاة (الحجون).

ب ـ المسفلة.

ج ـ الشبيكة.

٢- بستان ابن مَعَمَر[٨]:

مجتمع النخلتين النخلة اليمانية والنخلة الشامية وهما واديان والعامة يسمونه بستان ابن عامر، وهو خطأ، و اليوم لم يبق منه شيء بسبب التوسع العمراني للحرم المكي وللمنطقة.

٣- المُشاش[٩]:

بالضم قال عرّام ويتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أو شال وعظائم قني منها: المشاش هو الذي يجري بعرفات ويتصل بمكة، وهو موضع بين ديار بني سليم ومكة، بينه وبين مكة نصف مرحلة.

٤- التنعيم[١٠]:

وادي يقع في الشمال الغربي للحرم بين جبلين هما ناعم ونعيم يبعد عن الحرم ٧،٥ كم ومنه يحرم المكيون، والتنعيم حد الحرم من جهة المدينة المنورة.

في هذا المنزل لقي الإمام الحسين عليه السلام قافلة قادمة من اليمن تحمل هدايا من والي يزيد على اليمن (بحير بن يسار الحميري) فاستولى عليها الإمام عليه السلام وهو أعلم بهدفه، أما رجال القافلة فقد خيرهم بين المسير معه إلى كربلاء أو أن يدفع لهم أجرة الطريق ليسيروا حيث شاؤا وقد سار معه جماعة منهم[١١].

٥- الصفاح[١٢]:

تعني الأرض المجاورة لسفح الجبل، تسمى هذه المنطقة اليوم نخل الشرائع تبعد عن الحرم المكي ٢٨ كم، في هذه المنطقة التقى الإمام الحسين عليه السلام بالشاعر

الفرزدق وسأله عن خبر الناس من خلفه فقال له: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.

٦- وادي العقيق[١٣]:

واد كبير ينتهي شمال المدينة المنورة وسمي بهذا الاسم نسبةً إلى جبل صغير بالقرب منه وأول من أسماه بهذا الاسم الملك تبع ملك اليمن، وفيه ثلاثة مواضع (المسلخ، غمرة، ذات عرق)، و يشرف وادي العقيق على جبل ذات عرق الذي يصل ارتفاعه إلى ١١٤١ م فوق مستوى سطح البحر.

٧- ذات عرق[١٤]:

N ٢١ ٥٦ .٠٩ E ٤٠ ٢٦ ١٠

وهو ميقات أهل العراق، يعتبر هذا المكان مهجوراً بسبب ابتعاد الطريق عنه، يبعد عن الحرم المكي ١٠٠كم شرقا، و يقال له (الطريق الشرقي)، وهو ميقات أهل العراق الذي وقته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمن مواقيت الآفاق وكان ذلك من أعلام نبوته حيث لم يكن يومئذ عراق. ويطلق على ذات عرق اليوم اسم الخريبات أو الضريبة، يبعد عن مكة ٩٤ كم شرقا، وقد توقف الإمام الحسين عليه السلام في هذا المكان ليلة أو ليلتين والتقى بشخص قادم من العراق اسمه بشر بن غالب ولما سأله عن وضع العراق قال له: (القلوب معك والسيوف عليك)، كما وصله عليه السلام هناك كتاب من عبد الله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب، مع ولديه عون ومحمد يطلب منه بأن يرجع إلى مكة.

٨- غمرة[١٥]:

الحد الفاصل بين تهامة ونجد، وهو منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها كانت ارض منخفضة يغمرها الماء ومعناها محل اجتماع الناس وتراكم الأشياء، وقال ابن النفيس غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عكاشه بن محصن. وغمرة، أيضاً جبل يدل على ذلك قول الشمردل بن شريك:

سقى جَدَثاً أكنافُ غمرة دونه
بهضبَة كُتمانِ المُديم ووابله
وما بِيَ حُبُّ الأرضِ إلا جوارَها
صَداهُ وقولٌ ظَنَّ أني قائله

٩- المسلح[١٦]:

بفتح اللام والحاء مهمله، اسم موضع من أعمال المدينة عن القتبي، قال ابن شميل مسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق ويتجسسون خبر العدو ويعملون لهم عملهم لئلا يهجم عليه ولا يدعون أحد من العدو يدخل بلاد المسلمين وان جاء جيش انذروا المسلمين.

١٠- أفاعيه[١٧]:

بضم الهمزة واد يصب من منى، وذكر الحازمي أنه في طريق مكة على يمين المصعد من الكوفة، وقد يطلق عليها أفيعيه.

١١- معدن بني سليم[١٨]:

هو معدن فران وهو من أعمال المدينة على طريق نجد، ومعدن بني سليم أحد قرى محافظة مهد الذهب التي تقع جنوب شرق المدينة المنورة بـ ٢٥٠ كم.

١٢- الربذة[١٩]:

E ٤١ ١٧ ٥٥٠ N ٢٤ ٣٧ ٨٦٦

منطقة مهجورة اليوم وقد خربت على أيدي القرامطة سنة ٣١٩هـ، وتعد من قرى المدينة، فيها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، تقع شمال منطقة مهد الذهب (معدن بني سليم سابقاً) بمسافة ١٥٠ كم واليوم الناس يعرفون هذه المنطقة باسم بركة أبو سليم ولا يعرفون الربذة، تبعد ٢٠٠ كم شرق المدينة المنورة.

١٣- عُمَقُ[٢٠]:

بوزن زُفَرَ علم مرتجل على جادة الطريق إلى مكة، كان يسكنه بنو غطفان وفيه آبار وعيون، والعامة تقول العمق بضمتين وهو خطأ، قال الفراء: وهو دون النقرة وانشد لابن الإعرابي:

كأنها بين شروري والعمق ـــ وقد كَسون الجلد نضحاً من عرق ـ نوّاحة تلوى بجلباب خلق

تقع بلدة العمق شمال محافظة مهد الذهب بـ ٥٢ كم، وتتوسط المسافة بين الحناكية ومهد الذهب، ومن أشهر آبارها القديمة (العودة، الشلالة، حمزة).

١٤- السليلية[٢١]:

أو السليلة، ماء لبني برثن من بني أسد.

١٥- مغيثه الماوان[٢٢]:

E ٠٤١ ٢٦ ٦٧٠ N ٢٥ ٥٢ ١٧٩

منزل في طريق مكة بينها وبين معدن بني سليم ٣٣ ميلاً، كانت مدينة عامرة ثم خربت، وتسمى اليوم الماوية وهي قرية كبيرة.

١٦- النقرة[٢٣]:

N ٢٥ ٣٥ ٩١٨ E ٠٤ ١٢ ٦٦ ٦٨

وتسمى معدن النقرة من منازل الحاج بين اضاخ وماوان، وفيها مناجم لمعادن الذهب والفضة والحديد وكان العرب يستخرجون منها ما يشاءون ويستخدمونه في صناعاتهم، تبعد اليوم عن منطقة الجفنية ٢٠ كم وعن بريده ٢٧٠ كم في الجنوب الغربي.

١٧- الحاجر[٢٤]:

N ٢٥ ٥٨ ٦٣٠ E ٠٤١ ٣٦ ٥١٣

والحاجر وادي معروف بطريق مكة منذ العصر الجاهلي، وهو المكان الذي كان يعيش فيه الشاعر زهير بن أبي سلمى، أكبر قرى حرب في منطقة حائل يمر بها حجاج العراق وفيها برك زبيدة المعروفة، تسمى اليوم منطقة البعايث، وتتبع محافظة غزالة من توابع مدينة حائل ١٧٠كم، وكان منزلاً لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه يجتمع أهل الكوفة والبصرة، وقد بعث الإمام الحسين عليه السلام منها كتاباً إلى أهل الكوفة، رداً على كتاب مسلم بن عقيل يخبرهم بقدومه إليهم، وقد أرسل كتابه هذا بيد سفيره قيس بن مسهر الصيداوي الأسدي، وفي الحاجر قبر أبو محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام المتوفى عام ١٦٨ هـ.

١٨- توز[٢٥]:

منزل في طريق الحاج بعد فيد للقاصد إلى الحجاز وهو جبل، يسمى اليوم قرية شعيب المخروقة.

١٩- فيد[٢٦]:

E ٤٢ ٣١ N ٢٧ ٠٧

وهي بليـدة في نصف الطريق للذاهب مـن الكوفة إلى مكـة، وتعد اليـوم مدينة كبيرة عامرة تتبع إلى محافظة الشـنان تقع جنوب شـرق حائل بـ ١٢٠ كم، وهي واحة قديمة.

٢٠- الاجفر[٢٧]:

E ٢٧ ٣٩ N ٤٣ ٠٠

ومعنى الأجفر، البئر الواسـعة التي لم توطأ، موضـع بين فيـد والخزيمية، بينه وبين فيد ٣٦ فرسـخاً نحو مكة، وهو ماء لبني يربوع، تتبع إلى محافظة بقعاء وتبعد عن حائل ٧٠ كم شرقا، مساحتها ٥٠٠ كم

٢١- الخزيمية[٢٨]:

E ٣١ ٠٤ ٠٤ N ٢٧ ٥٠ ٩١٥

تصغير خزيمة، منسوبة إلى خزيمة بن خـازم، منزل للحاج بعـد الثعلبية للذاهب

من الكوفـة، تبعد مسـافة ٣ كم عن زرود وتبعد مسـافة ١٦٠ كم شـمال شـرق عن مدينـة حائـل، تقع فـي الشـمال الغربي لمدينـة القصيم، وتبعد مسـافة ٥٨٨ كم جنوب غـرب المدينة المنـورة، في هذا المكان سمعت زينب الكبرى هاتفاً في تلك الليلة يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد
فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا
بمقدار إلى انجاز وعدي

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: (يا أختاه كل ما قضى الله فهو كائن)[٢٩].

٢٢- زرود[٣٠]:

N ٤٣ ١٢ ١٠ E ٣٧ ٤٩ ٤٤

وزرود من البلع، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها الماء التي تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، تقع اليوم شمال شرق مدينة حائل بمسافة ١٦٠ كم، وتبعد أيضاً مسافة ٥٨٥ كم جنوب غرب المدينة المنورة، وفيها أُخبر الإمام الحسين عليه السلام باستشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وقد أخبره بذلك رجلان كانا قد قدما من الكوفة يريدان الحج، فبكى الإمام عليه السلام، وترحم عليهما وبكى بنو هاشم، وقد باتوا ليلتهم تلك في هذا المكان، وكان قد نزل معه في هذا المنزل زهير بن القين البجلي فدعاه الإمام إلى نصرته والسير معه، فلبى الدعوة والتحق بقافلة الإمام إلى كربلاء.

٢٣- الثعلبية[٣١]:

N ٢٨ ١٦ ٢١ ٥ E ٠٤ ٣١ ٤٣ ٣٢

من منازل طريق الحاج، وهي ثلثا الطريق، تسمى اليوم البدع وتقع شرق عرك المظهور، وشمال التيسية (حزن مليحة)، وهي اليوم ضمن الحدود الإدارية للمنطقة الشمالية.

في هذا المكان التقى الإمام الحسين عليه السلام بالطرماح ودعاه للانضمام إليه، فقال له الطرماح: عندي ودائع سأذهب إلى أهلي وأعود إليك، وحينما عاد كان الإمام الحسين عليه السلام قد استشهد، كما التقى الإمام بهذا المنزل برجل نصراني مع أمه وزوجته واسلما على يده[٣٢]، وقد تأكد في هذا المنزل من خبر استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة.

٢٤- بطان[٣٣]:

منــزل بطريــق الكوفة، بعد الشــقوق من جهة مكــة، وهي لبني ناشــرة من بني اســد، تقع ضمن الحدود الإدارية للمنطقة الشمالية.

وقد قال فيها الشاعر:

أقول لصاحبي من التأسي
وقد بلغت نفوسهما الحلوقا
إذا بلغ المطيّ بنا بطاناً
وجزنا الثعلبية والشقوقا
وخَلّفنا زُبالة ثم رُمنا
فقد وأبيك خلفنا الطريقا

٢٥- الشقوق[٣٤]:

N ٢٩ ٠٥ ٠٧٥ E ٤٣ ٢٨ ٤٠٤

تســمى اليوم الشــيحيات وتعني كلمة الشــقوق النواحي والارجــاء، تقع ضمن الحــدود الإدارية للمنطقة الشــمالية، في هذا المكان التقى الإمام الحسين عليه السلام برجل قادم من الكوفة، وســأله عن الأوضاع في الكوفــة، فقال لــه: إن أهلها قــد اجتمعوا ضدك.

فأنشد الإمام قائلاً[٣٥]:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسةً
فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ
وان كانت الأبدان للموت أنشئت
فقتل امرئ بالسيف في الله أفضلُ
وان كانت الأرزاق شيئاً مقدراً
فقلة سعي المرء في الرزق أجملُ
وان كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرءُ يبخل

٢٦ - زبالة[٣٦]:

N ٢٩ ٢٣ ٨٧ ١ E ٤٣ ٣٣ ٧٥ ٤

منــزل بطريق مكــة من الكوفــة، فيها حصــن وجامع وهي لبنــي غاضرة من بني اســد، تقع جنــوب مدينة رفحــاء، ضمن

الحـدود الإدارية للمنطقة الشـمالية، في هذا المنزل وصله خبر استشـهاد رسـوله إلى مسـلم بن عقيل (عبد الله بن يقطر)، كما بلغه خبر استشهاد رسوله إلى الكوفة، قيس بن مسـهر الصيـداوي، وفي صباح اليـوم التالي، أمر عليه السلام أصحابه بحمل الماء ومتابعة المسـير نحو الكوفة، وقال بعض الأعراب بزبالة:

ألا هل إلى نجدٍ وماءٍ بقاعها
سبيلٌ وأراح بها عَطِرَاتِ
وهل لي إلى تلك المنازل عودةٌ
على مثل تلك الحال قبل مماتي
فأشرب من ماء الزلال وأرتوي
وأرعى مع الغزلان في الفلواتِ
وألصِقَ أحشائي برمل زُبالة
وآنس بالظلمان والضبياتِ

٢٧- القاع[٣٧]:

E ٤٣ ٣٣ ٧٥ ٤ N ٢٩ ٢٣ ٨٧ ١

ومعنـى القاع ما انبسـط مـن الأرض الحرة السـهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشـرب مائها، وهي مسـتوية ليس فيها تطامـن أو ارتفاع، تعتبر هـذه البركة آخر البرك الواقعة ضمن حدود المملكة العربية السعودية.

وقال فيها الشاعر:

بقاع منعناه ثمانين حجة
وبضعاً لنا أخراجه ومسائله

وقال آخر:

أيا أثلاث القاع من بطن توضح
حنيني إلى أطلا لكنّ طويلُ

٢٨- العقبة[٣٨]:

E ٤٣ ٣٧ ٢٠ ٨٤ N ٣٠ ٠٨ ٣٠ ٦٥

وتعني الجبل الممتد الذي يعرض الطريق فيأخـذ فيه، كانت ماءا لبني بكر بن وائل، تبلغ المسـافة من الكوفة إلى العقبة حوالي ٢٢٢ كـم، أما من ناحية الشـبكة إلى العقبة

(العكبة) فتبلغ ٧٦ كم، وتعتبر بداية الحدود العراقية، تبعد مسافة ٣ كم عن الساتر الحدودي وهي أول بركة داخل الحدود العراقية، فيها نزل الإمام الحسين عليه السلام في هذا المنزل والتقى بشيخ اسمه (عمر بن لوذان) كان قادماً من الكوفة، ولما سأله الإمام عن أوضاع الكوفة حاول الرجل بكل الطرق والوسائل ثني الإمام عن المسير صوب الكوفة، لكن الإمام واصل المسير نحوها.

٢٩- واقصة[٣٩]:

E ٤٣ ٤٦ ١٣ ١٩ N ٣٠ ٣٥ ٠٢ ٩٧

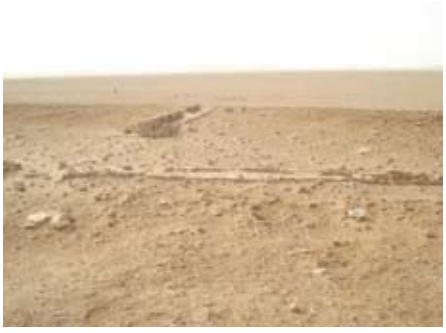

يقال لها واقصة الحزون تبعد مسافة ٢٧ كم جنوب ناحية الشبكة الحدودية.

٣٠- شراف[٤٠]:

E ٤٣ ٤٥ ٠٣ ٣٠ N ٣٠ ٣٧ ١٥ ٥١

موضع بين واقصة والقرعاء، على ثمانية أميال من الأحساء، وفيها ثلاثة آبار،

تبعد منطقة شراف مسافة ٢٢كم جنوب ناحية الشبكة، وبعد هذه المنطقة بمسافة ١٥ كم، نصل إلى بركة (أبو مسك) من هذه البركة إلى ناحية الشبكة ٧كم، في هذا المكان وصل الخبر إلى الإمام الحسين عليه السلام بأن الحر قد أغلق عليه الطرق فبات الإمام وأهل بيته ليلة في هذا المكان، وعند الفجر أمر أصحابه بالمسير وعند انتصاف النهار كبر أصحاب الإمام فسألهم: ما الخبر؟

قالوا: نخيل الكوفة فقال لهم: تحققوا من الأمر، ما نحن ونخيل الكوفة، فقالوا: هذه آذان الخيل وأسنة الرماح إنهم جيش الحر فقال لأصحابه هل من ملاذ نجعل ظهورنا فيه ونلاقي هذا الجيش فقالوا :نعم انه ذو حسم.

٣١- ذو حسم[٤١]:

E ٤٣ ٤٣ ٠٥ ٣٣ N ٣٠ ٤٧ ٠٩ ٩١

موضع في طريق الحاج من الكوفة تبعد هذه المنطقة اليوم ٥كم شرق ناحية الشبكة وتسمى القطارة أو (عين وهب النصراني)، في هذا المكان التقى الإمام بجيش الحر، فأمر الإمام عليه السلام فتيانه أن يسقوا جيش الحر وخيله بعد ما كانوا قد نالهم التعب والعطش طوال الطريق.

ثم خطب الإمام الحسين عليه السلام بهم وعند حلول الظهر نادوا للصلاة فصلى الإمام الحسين عليه السلام بالجيشين جماعة وكان الحر يصلي مأموماً خلف الإمام الحسين عليه السلام.

٣٢- البيضة[٤٢]:

E ٤٣ ٥٤ ٣٢ ٦٩ N ٣٠ ٥٦ ٠٨ ٧٤

وتعني الأرض السهلة الجرداء وهي ماء لبني يربوع، تسمى اليوم (الطلحات) تبعد مسافة ٣٢كم شرق ناحية الشبكة باتجاه مدينة النجف.

في هذا المكان خطب الإمام الحسين عليه السلام بخطبته المشهورة قائلاً: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله[٤٣]...)، وفي هذا المنزل نهض نافع بن هلال وبرير بن خضير وأعلنا في كلام لهما عن مناصرتهما للإمام ثم نادى مناد الإمام الرحيل الرحيل وساروا نحو عذيب الهجانات (العذيب).

٣٣- العذيب[٤٤]:

E ٤٤ ١٥ ١٠ ٦٢ N ٣١ ٣٥ ٥٤ ٦٦

ماء بين القادسية والمغيثة، واد لبني تميم ومن منازل حاج الكوفة وقيل هو حد السواد، تسمى اليوم (بركة زبيدة) وتبعد عن النجف ٥٢ كم، وتعتبر أول بركة في طريق الحج البري القديم المعروف بـ(درب زبيدة) من جهة النجف (العراق)، في هذا المنزل التقى الأمام بأربعة رجال قادمين من الكوفة، وحينما طلب منهم الإمام نصرته لبوا دعوة الإمام وساروا معه حتى نالوا الشهادة وفي هذه الأثناء وصل كتاب ابن زياد إلى الحر يدعوه بأن يجعجع بالحسين ويسلك به طريقا لا يؤدي به إلى الكوفة ولا يرجع إلى المدينة.

٣٤- الرهيمة[٤٥]:

E ٤٤ ٠٦ ٠٧ ٢٩ N ٣١ ٥٧ ٣٠ ٤٦

مصغر رهمة وهي المطرة الضعيفة الدائمة، ضيعة قرب الكوفة، تبعد اليوم مسافة ٣٥كم جنوب محافظة النجف الاشرف (قرية صغيرة فيها مدرسة ومركز كمرك، وعدد الدور السكنية لا يتجاوز ٣٠ داراً)، وفي هذا المكان التقى الإمام برجل من أهل الكوفة وسأله الإمام عن أوضاعها وقد أجابه الرجل بمعلومات لم تسر الإمام الحسين عليه السلام.

٣٥- قصر بني مقاتل[٤٦]:

أو قصر مقاتل، كان مشيداً بين عين التمر والشام، يقع جنوب غرب قصر الأخيضر بمسافة ٣٥كم، وفي هذا المنزل رأى الإمام الحسين فسطاطاً مضروباً فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعبد الله بن الحر الجعفي، وكان معه الحجاج بن مسروق الجعفي وزيد بن معقل الجعفي، فأرسل الحسين عليه السلام الحجاج إليه ليدعوه لكنه أعتذر فسار إليه الحسين ثانيةً وكلمه فأعاد مقالته على الإمام الحسين عليه السلام واعتذر عن نصرته، وأبدى استعداده لتقديم فرسه فقال له الحسين لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك[٤٧].

وهكذا حرم هذا الرجل نفسه من كرامة الشهادة مع سيد الشهداء ولم يفز بالحياة الأبدية.

ثم سار الركب الحسيني متخذاً جهة اليمين نحو كربلاء.

يقول ابن طخماء الأسدي:

كأن لم يكن بالقصر قصر مقاتل
وزُورَةَ ضلٌ ناعمُ وصديق

المنزل الأخير:

كربلاء موضع على طرف البرية بالقرب من الكوفة، من أسمائها(نينوى، الغاضرية، النواويس، العقر، الطفوف، مشهد الحسين عليه السلام، الحائر، شُفيه) ■

---

(١) سورة الحج آية ٢٧.
(٢) سورة آل عمران آية ٩٦ - ٩٧
(٣) الراشد، درب زبيدة، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨١
(٤) مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية، طبع سنة ١٣١١ هـ.
(٥) المقرم، مقتل الحسين، ص١٩٣.
(٦) محدثي، موسوعة كربلاء.
(٧) مجلة القافلة، العدد ١ مجلد ٥٤، ص٩٦ يناير/ فبراير، ٢٠٠٥ م.
(٨) الحموي، معجم البلدان، ٣٢٨/١.
(٩) الحموي، معجم البلدان، ٤٩/٢، البكري، معجم ما استعجم، ١٢٣/٤.
(١٠)، الحموي، معجم البلدان، ٤٩/٢، الحسين في طريقه إلى الشهادة، ص٢٦، تاريخ الطبري ٤، مرآة الحرمين ١ / ٣٤١.
(١١) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٨ ؛ مقتل الخوارزمي ١ /٢٢٠ ؛المفيد، الإرشاد، ابن نما الحلي، مثير الأحزان ص٢١.
(١٢) الحموي، معجم البلدان، ٣ /١٩٣، الأمين العاملي، لواعج الأشجان، ص٦٩.
(١٣) محدثي، موسوعة عاشوراء ص ٤٦٦، الحموي، معجم البلدان، ٣ / ٣٤.
(١٤) الحموي، معجم البلدان، ١٠٨/٤.
(١٥) الحموي، معجم البلدان، ٣٩٦/٣، ، محدثي، موسوعة عاشوراء، ص٣٤٣.
(١٦) الحموي، معجم البلدان، ٤ /٢٦٦، محدثي، موسوعة عاشوراء ص٤٢٣.
(١٧) الحموي، معجم البلدان، ١٨٢/١.
(١٨) الحموي، معجم البلدان، ٤ / ٢٨٦، محدثي، موسوعة عاشوراء ص ٤٣ ،.
(١٩) الحموي، معجم البلدان، ٢٤/٣.
(٢٠) الحموي، معجم البلدان، ٣ /٣٥٤، محدثي، موسوعة عاشوراء، ص٣٣٦.
(٢١) الحموي، معجم البلدان، ٣ /٦٤، محدثي، موسوعة عاشوراء، ص٢٤١.
(٢٢) الشريفي، كلمات الإمام الحسين عليه السلام،

ص٣٣٩، الحموي، معجم البلدان، ١٦٣/٥.
(٢٣) الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٣٩٨
(٢٤) محدثي، موسوعة عاشوراء، الحموي، معجم البلدان، ٢ /١٠٧.
(٢٥) الحموي، معجم البلدان، ١ /٤٦٤.
(٢٦) الحموي، معجم البلدان، ٤٥٠/٣.
(٢٧) الحموي، معجم البلدان، ١٠٢/١.
(٢٨) محدثي، موسوعة عاشوراء ص ١٥٥.
(٢٩) المقرم، مقتل الحسين ص٢٠٧، الحسين في طريقه إلى الشهادة، ص٦٥ نقلاً عن مقتل الخوارزمي.
(٣٠) الحموي، معجم البلدان، ٢ /٤٧٤.
(٣١) الحموي، معجم البلدان، ٢ /١١.
(٣٢) الحسين في طريقه إلى الشهادة، ص٧٨، المقرم، مقتل الحسين، ص٢١١.
(٣٣) الحموي، معجم البلدان، ٣٥٢/١، محدثي، موسوعة عاشوراء، ص٦٩، الحسين في طريقه إلى الشهادة ص٨٠،
(٣٤) الحموي، معجم البلدان، ٣ /١٥٠.
(٣٥) المقرم، مقتل الحسين، ص٢١١.
(٣٦) الحموي، معجم البلدان، ٢ /٤٦٧، محدثي، موسوعة عاشوراء ص٢٠٧، المقرم مقتل الحسين ص٢١٣، الحسين في طريقه إلى الشهادة، ص٨٧.
(٣٧) الحموي، معجم البلدان، ٤ /١٢، محدثي، موسوعة عاشوراء، ص٣٥٦، الحسين في طريقه إلى الشهادة، ص٨٨.
(٣٨) الحموي، معجم البلدان، ٣ ص٣٣٦.
(٣٩) الحموي، معجم البلدان، ٤ ص٤٣٩، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٣٦.
(٤٠) محدثي، موسوعة عاشوراء ص٢٥٣، الحسين في طريقه إلى الشهادة ص٩٤، المقرم، مقتل الحسين، ص٢١٣.
(٤١) الحموي، معجم البلدان، ٢ ص١٤٨، محدثي، موسوعة عاشوراء ص١٩٠، المقرم، مقتل الحسين، ص٢١٥.
(٤٢) الحموي، معجم البلدان، ١ /٤١٨.
(٤٣) المقرم، مقتل الحسين ص٢١٧، محدثي، موسوعة عاشوراء ص٧٩.
(٤٤) الحموي، معجم البلدان، ٣ /٣٠٤، الحسين في طريقه إلى الشهادة ص١٠٥، المقرم، مقتل الحسين ص٢٢٠.
(٤٥) الحموي، معجم البلدان، ٢ /٤٥٢.
(٤٦) الحموي، معجم البلدان، ٤ /٦٢.
(٤٧) الحسين في طريقه إلى الشهادة ص١٢٠، المقرم، مقتل الحسين ص٢٢٢، محدثي، موسوعة عاشوراء ص٣٦٣.

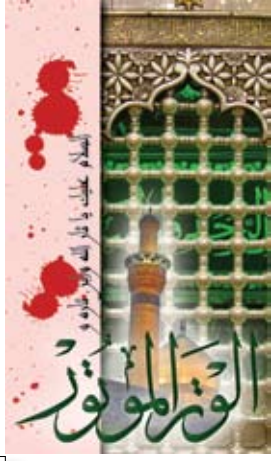

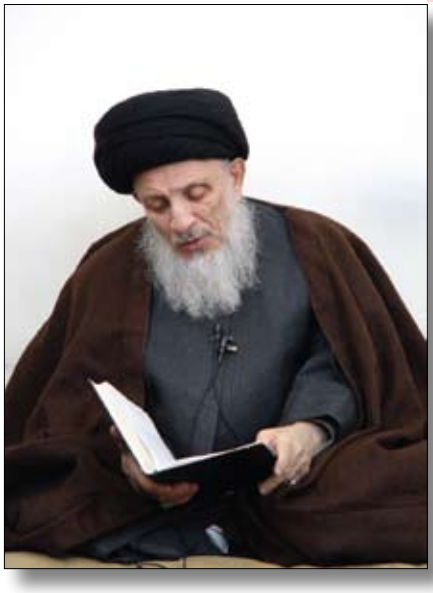

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله).

بعد التحية والمزيد من الدعاء نرجو الإجابة على الأسئلة التالية، ودمتم مؤيدين..

١ـ ألا يكره للمصلي لبس السواد، وكيف نجمع بين هذا الحكم الشرعي وبين القول باستحباب ليس السواد عزاءً على الحسين عليه السلام؟

٢ـ أي كتب المقاتل أكثر اعتباراً في نظركم الشريف؟

٣ـ هناك من يعقد بعض الخيوط وقطع القماش على منبر الحسينية أو العلم المنصوب فيها، وهناك من يبدي استعداده

لشـرائها طلباً للبركة والاستشـفاء.. فهل يجوز بيعها وصرف ثمنها في مراسم العزاء الحسيني مثلاً؟.

٤ـ نرى في بعض الفتاوى تعليق العمل والشعيرة الحسينية جوازاً أو حرمة على الوهن والتضعيف في الدين والمذهب فما هو الملاك في صدق عنوان الوهن؟.

الجواب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وله الحمد

ـ ١ ـ

الجمـع بيـن الحكمين ليس عزيـزاً بعد شـيوع ارتفاع الأحكام الأوليـة أو مزاحمتها بالعناويـن والأحكام الثانويـة، فمثلاً ترتفع كراهـة لبس السـواد إذا صـار أوفق بصحة الإنسـان، كما يرتفع استحباب لبس البياض إذا صار أضر على الصحة، أو صار شـعاراً لأعداء الديـن، ويكون الإفطـار أفضل من الصيام إذا كان اسـتجابة لالتماس المؤمن... إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

ومن الظاهر أن كون لبس السواد مظهراً من مظاهر الحزن عرفاً أمر قطعي، كما أن استحباب إظهار الحزن والجزع على مصيبة الإمـام الحسـين (صلـوات اللّه عليه) وعلى جميـع المصائـب الدينية مـن الارتكازات القطعية التي دلّت عليها النصوص، وتوارثها الشـيعة جيـلاً عـن جيـل متصـلاً بعصور الأئمة المعصوميـن عليهم السلام. وهذه الجهة تصلح لمزاحمة كراهة لبس السواد بحيث لا تترجح عليها وترفعها.

هـذا مضافـاً إلـى مـا روي بطريـق معتبـر عن عمر بـن علي بن الحسـين زين العابدين عليه السلام قال: (لما قتل الحسـين بن علي صلـوات اللّه عليـه لبس نسـاء بني هاشـم السواد والمسـوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا بـرد، وكان علي بن الحسـين يعمل لهنّ الطعام للمأتم).

وظاهر هـذا الحديـث أن الإمـام زين العابديـن عليه السلام كان يقرهن على مـا قمن به، في الوقت الذي ورد النهي عن لبس السواد علـى الميت زيادة على كراهة لبس السـواد عموماً.

نظير استثناء الحسين عليه السلام في اللطم كما في حديث خالد بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل: (ولا شـيء في اللطم على الخدود سوى الاستغفار والتوبة، ولقد شققن الجيوب ولطمـن الخـدود الفاطميات على الحسـين بن علي'. وعلى مثله تلطم الخدود وتشـق الجيوب)، كل ذلـك لأن الجزع على الحسـين (صلوات اللّه عليه) ليس جزعاً من قضاء اللّه تعالى وقدره الممقوت شرعاً، بل هو جـزع على الدين حيث خولفت أحكامه، وانتهكت حرمة رموزه وأعلامه، وإنكار على الظالمين الذين قاموا بذلك.

كما أن في إعلان الحزن عليه عليه السلام وتحري مواقع الشجى وإثارة العواطف نحو مصيبته (صلـوات اللّه عليه) وإقامة مراسـم العزاء عليـه إحياء لأمـر أهل البيـت (صلوات اللّه عليهم) وتشـييد لدعوة الحق وترويج للدين الحنيـف. كما ظهرت ثمـرات ذلك وبركاته على مرّ العصـور وتعاقب الدهور. و(الحمد للّه الذي هدانا لهـذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه) وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

ـ ٢ ـ

لما كانت غالب روايات المقاتل مراسيل فالركون إليها إنما يكون بسبب سمو شخصية مؤلف المقتل في العلم والوثاقة وحسن الاختيار كمقتل الشيخ الصدوق في أماليه، واللهوف لابن طاووس، ومثير الأحزان لابن نما. كما أنه قد ألفت بعض المقاتل في عصورنا ترجع الأحداث التي تذكرها إلى المصادر التي أخذت منها، كمقتل المرحوم المقرم، ومقتل المرحوم بحر العلوم، وحينئذ يكون الركون للرواية التي تتضمنها لأهمّية المصدر التي ترجع إليه.

ونودّ في ختام هذا الحديث التنبيه لأمرين:

(**الأول**): أن أكثر التاريخ مراسيل أو أحداث مذكورة بأسانيد غير معتبرة، ولو أعرضنا عن ذلك لم يبق تاريخ ـ كما ذكرنا ذلك في بعض إجاباتنا الملحقة برسالتنا لطلبة العلوم الدينية والمبلغين ـ وليس من الإنصاف أن نركن إلى ما كتبه علماء العامة ـ كالطبري وابن الأثير ـ ولا نركن إلى ما كتبه علماؤنا الأبرار (قدس الله أرواحهم الزكية) مع أن المقارنة الإجمالية بين الطرفين تقضي بالعكس، لاهتمام علمائنا بالحقيقة، تبعاً لأئمتهم (صلوات الله عليهم) وهم أحرى بالموضوعية تأدباً بآدابهم عليهم السلام. وكم حاولوا مؤرخو العامة طمس الحقائق وكتمانها أو تشويهها.

نعم يحسن الركون لما يذكره مؤرخو العامة مما يخالف خطهم ويؤيد خط أهل البيت (صلوات الله عليهم) حيث يشهد ذكرهم له بأنه من الوضوح بحيث فرض عليهم، وإن كان على خلاف خطهم وهواهم.

(**الثاني**): أن عدم العثور على مصدر الرواية لا يصلح شاهداً على كذبها، لأنه قد ألفت في العصور الأولى كثرة كاثرة من الكتب حول مقتل الحسين عليه السلام تعتمد على الروايات المسندة لمشاهدي الحوادث أو على ما يحدث به أئمة أهل البيت عليهم السلام في عصورهم الطويلة، حيث بذلوا (صلوات الله عليهم) جهدهم في الإعلان والتذكير بهذه المصيبة بما أحاط بها من مآس وفجائع وعظات وعبر، وإذا كانت تلك الكتب قد ضاعتْ علينا فمن القريب جداً أن يكون كثير من مضامينها قد بقي في الصدور يتناقله الناس جيلاً بعد جيل، أو أودع بنحو مرسل في بعض المقاتل المتأخرة التي وصلتنا.

كما أن كثيراً من الأحداث ربما لم يسجل وإنما بقي متناقلاً بين الناس في الأجيال المتعاقبة حتى وصل إلينا مرسلاً من دون مصدر. واحتمال ذلك كاف في حسن ذكره لتشييد حق معلوم أو للتنفيّر من باطل معلوم. على ما ذكرناه في بعض إجاباتنا الملحقة بالرسالة المذكورة.

ـ ٣ ـ

يشكل بيع الخيوط المذكورة، لعدم ملكية البائع لها، وعدم وضوح ولايته عليها. غاية الأمر أن الذي قد وضعها قد أعرض عنها، فيجوز بذلها مجاناً. نعم لا بأس بأن يدفع آخذها شيئاً من المال تبرعاً لمراسم العزاء من دون أن يكون ثمناً لما أخذه.

ـ ٤ ـ

وهن الدين وتضعيفه من الأمور الوجدانية الواضحة المعنى بنحو لا تحتاج إلى شرح. نعم يختلف انطباقها وحصولها باختلاف الأنظار والأمصار والطوارئ والمقارنات، ولا يتيسر لنا إعطاء الضابط لذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

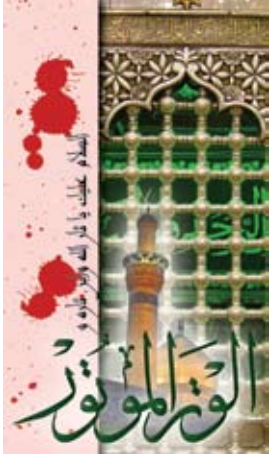

نظرة..
في تجديد الخطاب الحسيني
الآليات والأبعاد

حيدر كريم الجمالي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

للخطاب الشيعي إسهام ملحوظ في صياغة البنية النفسية السائدة للجماهير الشيعية، ومن ثم تحديد علاقة الأجيال بواقعها المعاصر، انفتاحا أم انغلاقاً، تسالما أم تصارعا سكونا أم حركة فاعلة. ومن هنا كانت الشعائر تضطلع بمسؤولية مزدوجة في النقل الموضوعي للحدث التاريخي للأجيال، وصياغة الوعي في زوايا الفكر، لتكون قضية كربلاء الدائمة، الانتصار لنهج الإمام الحسين عليه السلام وتمثل أهدافه إذ أن الوعي ليس مجرد تراكم للمعلومات، أو الاجترار المكرر للأحداث بقدر ما هو استنارة في الرؤية للتاريخ، وفهم

الواقع المعاصر بآفاقه وتحدياته، وهو ما يصطلح عليه القرآن الكريم بالبصيرة، وما وصف به الحسين عليه السلام أصحابه (حملوا بصائرهم على أسيافهم).

والحقيقة إننا كلما اقتربنا من الإمام الحسين عليه السلام وثورته بدأ التلازم مع المفهوم القرآني، والانتقال تجسيداً للمعادلة القرآنية (إني مغلوب فانتصر) مما ارتقى بالثورة الحسينية إلى مصاف الانفراد والريادة والفعل التاريخي المؤثر.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في كلماته الشريفة (إلا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة) ويقول: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر).

لأن الخطاب الحسيني كما تقدم متلازم مع النص القرآني الذي يصف المؤمن بالعزة والعلو، والكرامة فالحسين عليه السلام رمز البطولة والجهاد لا الانكسار والخنوع.

هذه الروحية الحسينية الناهضة المجاهدة عبر عنها أحد الباحثين حين ذكر أن التشيع أنمى روحية وأكثر حرية، ولهذا قال غاندي محرر الهند: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر) إن أبناء المذهب اليوم من الفقهاء والعلماء والمثقفين والخطباء أمام مسؤولية إنتاج خطاب مؤسس لثقافة الانتصار التي من أبرز معالمها: بعث الروح، وإثارة العقل، وتعبئة الطاقات، وبلورة برامج الإصلاح والتغيير، فلا نبالغ إن اسمينا عصرنا بعصر البدائل.

لقد أمر يزيد (لعنه الله) المؤذن ليقطع خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في تعتيم إعلامي، واليوم في واقع الفضائيات المفتوحة وثورة الاتصالات والمعلومات ليس لنا أن نتعذر بالمنع أو الظروف إذا ما تعمقنا أكثر في المحتوى الحضاري والإنساني للثورة الحسينية سوف نجدها بلا شك أكبر من كونها مجرد ثورة. فليس كل ثورة تمتلك استحقاق، الخلود في لوح التاريخ الممدود، لأن يميزها عن غيرها هو خلود مضمونها الرسالي الكبير، لأنها كانت تعبيرا عن نهضة، وأنها ثورة أحرار لا ثورة عبيد. فقد هيمنت على الوجدان المسلم، فصنعت منه كل التحولات التي شهدتها القرون اللاحقة، وأنت تجد أن ما أعقبها من ثورات، كثورة التوابين أو المختار أو حتى ثورة العلويين المتحالفين في بداية نضالهم مع الثورة العباسية ضد المشروع الأموي المقبور والذين رفعوا شعار الرضا من آل محمد، كلها كانت تستحضر الشعار الحسيني، وسواء أنجحت في ترجمة شعاراتها أم لا فإنها ثورات ملهمة من هذا الروح الحسيني الذي أعاد صياغة العقل المسلم باتجاه إمكانية التغيير للأفضل.

في هذا الإطار يمكننا القول بأن النهضة الحسينية كانت في صلب المسألة الإسلامية، يتعلق بالمخاطب قبل المتلقي، فالخطاب الحسيني رهين ينضج وثقافة الحامل للخطاب. فيمكن أن يتقزم الخطاب فيأخذ شكل حامله حيثما أضفى على الخطاب رؤيته الضيقة. فالخطاب الحسيني قد يصبح عالميا كونيا إذا توافر الحامل الكوني والإنساني. أي أن يرقى الخطاب ليلامس وعي الإنسان ونضج العالم. ومن هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار الذوق العام وثقافة المتلقي في تقديم

رسالة الحسين عليه السلام واستنطاق ملحمة الحسين، وتأويل ثورة الحسين عليه السلام.

علينا أن نعيد قراءة المشهد وفق صياغة جديدة، وأن نقرأ الحسين عليه السلام مصلحاً كبيراً للأمة كل الأمة، وليس متحيزاً في حركته الرسالية لطائفة ما.

إن توسيع الخطاب الحسيني وجعله عنوانا لوحدة الأمة أمراً ضرورياً بهذا اللحاظ، فالخطاب الحسيني: خطاب إسلامي، وإنساني مفتوح والإمام الحسين عليه السلام طلب من محاصريه أن يسمحوا له بأن يتجه إلى ثغر من الثغور ليدرأ خطر الاقتتال بين المسلمين، كما أن ابنه زين العابدين عليه السلام رغم مواجع الاستضعاف الأموي وجرح ما شاهده من إباده لأهل بيته يقدم أنموذجاً للهم الوحدوي من خلال دعاء أهل الثغور الذي يلامس فيه قضية الأمة الكبرى والقلق على بيضة الإسلام بما يفوق الاعتبارات الشخصية والحسابات السياسية الضيقة والطائفية المقيتة.

ولقد افترض الإمام الحسين عليه السلام أن خصومه لاسيما قتلته، كانوا لا يؤمنون بالمعاد ولا يخافون الله، لذا تقدم خطوة يخاطب ما يلزمهم برسم الضمير الإنساني فقال عليه السلام: (فكونوا أحراراً في دنياكم إن كنتم عرباً كما تزعمون) فهو يتحدث عن الإنسان وعن الفتى وعن النفس المحترمة وعن الحق والكرامة... فكل ما نطق به هو مدرج في مطاليب بني البشر في نيل الحياة الكريمة الحرة ولذا رأينا الخطاب الحسيني مفهوما لدى شعوب العالم جمعاء لذا علينا أن نقف في الخطاب الحسيني على فكر احترام الآخر واحترام الحياة، حيث ليس استشهاد الحسين عليه السلام إلا فضحا لذلك النهج القائم على قتل النفس المحترمة.

إن مسؤولية المبلغين والخطباء والحسينيين كبيرة، فعليهم أن يتحلوا بثقافة عالية تمكنهم في استحضار الوعي والذوق العام، ويكونوا أكثر توازنا والخطباء مطالبون أكثر من غيرهم بتحصيل حد أدنى من الثقافة العامة والاجتهاد في مراعاة الذوق المشترك وعدم الاستسلام للحس الانفعالي والعاطفي، الذي يقوم عادة على حساب منطق المحتوى الرسالي للمادة الحسينية.

فقضية الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد وصف لمقتل بل هي أبعد بكثير لأنها وصف لقتل استتبع أشكالا من القتل لمشروع أمة ومشروع نهضة أي البعد الشأني للإمام الحسين عليه السلام وموقعيته الرسالية داخل الأمة. إن نضج الخطيب الحسيني وثقافته تنعكس بصورة تلقائية على المحتوى، فتكبر القضية بمستوى ثقافة الخطيب وعلمه وفي هذا السياق يمكننا الحديث عن نماذج تركت بصماتها على المنبر الحسيني من أمثال الشيخ الوائلي (رحمه الله) الذي استطاع أن يطور نمطا خاصا في الخطابة الحسينية، استدمج بها العلم والتحقيق بفن الخطابة وما تقتضيه من نكات بيانية، فكان نموذجاً للخطيب الذي يفقه عصره، ويفقه موقعية الخطيب الحسيني ومسؤوليته. وهناك نماذج كثيرة ومن هنا يجب أن ننطلق في قراءتنا لنهضة الحسين واستيعابنا لفلسفة عاشوراء، على أساس فقه الأوليات والاهم والمهم وتأويل الحدث والسمو برمزيته إلى ما يخدم نهضة الأمة وتقدمها ووحدتها ■

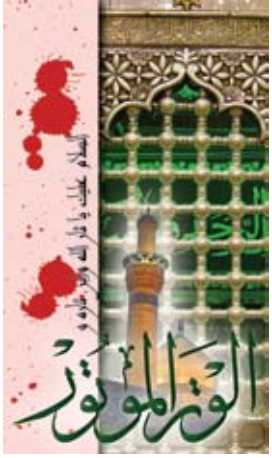

قصيدة:

في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

السيد حيدر الحلي •

لتلوِ لـويُّ الجيدَ ناكسةَ الطرفِ ... فهاشمها بالطف مهشومة الأنفِ
وفـي الأرض فلتُثكِل كنانةَ نبلها ... فلم يَبقَ سهمٌ وفي وفاضهم يشفي
ويا مضرَ الحمراء لا تنشري اللوا ... فـإنَّ لِـواكِ اليـوم أجـدر باللّف
ويا غالباً ردي الجفونَ على القذا ... لمن أنتِ بعد اليوم ممدودةُ الطرف
لِتنض نـزارُ الشوس نثرةَ زغفها ... فبعد أبـيّ الضيم ما هي للزَعفِ
بني البيض أحساباً كراماً وأوجهاً ... وساماً وأسيافاً هي البرق في الخطفِ
ألستم إذا عن ساقها الحرب شمَّرت ... وعن نابها قد قلَّصت شفة الحتفِ
سحبتم إليها ذيـلَ كـلِّ مفاضةٍ ... تردّ الضُبا بالثلم والسمرَ بالقصفِ
فكيف رضيتم من حـرارةِ وِترها ... بماء الطُلا منكم ضبا القوم تستشفي
ألـم يأتكم أن الحسينَ تنازعت ... حشاه القنا حتَّى ثوى بثرى الطفِّ
بشمّ أُنـوفٍ اكرهوا السمر فأنتنت ... تَكَسر غيظاً وهـي راعفةُ الأنـفِ
أبـا حسنٍ أبـنـاؤك اليـوم حلَّقت ... بقادمة الأسياف عن خِطَّةِ الخسفِ
ثنت عِطفها نحو المنيَّة إذ أبت ... بـأن تغتذي للذل مثنيَّةَ العِطفِ
لقد حُشدت حَشد العطاش على الردى ... عطاشاً وما بلّت حشاً بسوى اللهف
ثوت حيث لم تذمُم لها الحرب موقفاً ... ولا قبضت بالرُّعب منها على كفِّ

سَل الطفّ عنهم أين بالأمس طنَّبوا ... وأين استقلّوا اليومَ عن عرصة الطفِّ
وَهل زحفُ هذا اليوم أبقى لحيِّهم ... عميدَ وغًى يستنهض الحيَّ للزحفِ
فلا وأبيك الخير لم يبقَ مِنهمُ ... قريع وغًى يُقري القَنا وهجَ الصفِّ
مشوا تحتَ ظلِّ المرهفات جميعهم ... فأفئدةٍ حـرَّى إلـى مَـورد الحتفِ
فتلك على الرمضاء صرعى جُسومهم ... ونسوتُهم هاتيك أسرى على العجفِ
مضوا بالأنوف الشمّ قدماً وبعدهم ... تخال نـزاراً تنشق النقع في أنفِ
وهـل يملك الموتور قائمَ سيفه ... ليدفع عنه الضيم وهـو بلا كفِّ
خـذي يا قلوب الطالبيين قرحةً ... تـزول الليالي وهي دامية القِرفِ
فإنَّ التي لم تبرح الخِدرَ أُبرزت ... عشيَّة لا كهفٌ فتأوي إلى كهفِ
لقد رفعت عنها يد القوم سِجفَها ... وكان صفيح الهند حاشيةَ السجفِ
وقَد كانَ مِن فرطِ الخفارةِ صوتُها ... يغضُّ فغضَّ اليوم من شدَّة الضعفِ
وَهاتفةٍ ناحت على فقدِ إلفها ... كما هتفت في الدوح فاقدة الإلفِ
لقد فزِعت من هجمَة القومِ وُلَّهاً ... إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مغفِ
فـنـادت عليه حين ألفته عارياً ... على جسمه تسفي صبا الريح ما تسفي
حملتُ الـرزايـا قبل يومك كلّها ... فما أنقضت ظهري ولا أوهنت كتفي
ولاويـتُ من دهري جميع صروفه ... فلم يُلوِ صبري قبل فقدك في صَرفِ
ثكلتك حين استعظلَ الخطبُ واحداً ... أرى كلَّ عضو منك يُغني عن الألفِ
بـودِّي لو أن الـردى كـان مرقدي ... ولا ابن أبي نبهتُ من رقدة الحتفِ
ويا لوعةَ لو ضمَّني اللحدُ قبلها ... ولم أبدُ بين القوم خاشعةَ الطرفِ ■

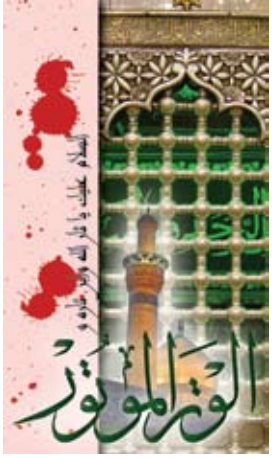

مزارات من كربلاء..

مقام نخلة مريم عليها السلام

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

على بعد مترين عن الضريح الحسيني من جهة الرأس الشريف، توجد صخرة رخامية ملصقة بالحائط، تعرف بمقام جذع النخلة، وهو من الآثار المقدسة في الحرم.

جاء وصف هذا المقام في كتاب (سفر نامة عضد الملك) للرحالة الفارسي عضد الملك الذي زار كربلاء سنة ١٢٨٤هـ/١٨٧٦م وترجمته بالعربية كما يأتي: (وإن نخلة مريم هي في عمود بين الصفة ومقابل الوجه المبارك فوق الرأس المطهر حيث يكتنفها عمودان رفيعان بطول ذراع واحد، وضعت النخلة المزبورة بين العمودين المذكورة، وبين النخلتين[1] نصب حجر أسود، ويقال أن مريم جاءت هذا الموضع المقدس بدون فعل فاعل من البشر)[2].

كما ورد في (سفر نامة عتبات ناصر الدين شاه) الذي زار كربلاء حدود سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م وصف موجز لهذا المقام نترجمه حرفياً: (وفوق رأس الحسين عليه السلام كانت اسطوانتان قصيرتان من المرمر ملصقتان بالجدار الذي كانوا يسمونه (مقام جذع النخلة) الخاص بمريم العذراء عليها السلام والذي تولد فيه عيسى بن مريم عليهما السلام ووضع فوق ذلك المقام صخرة سوداء مشوبة بالحمرة فسألت عن هذه الصخرة فقالوا: إن هذه الصخرة انتقلت مع الزوار من خراسان إلى كربلاء ونصبت قبل خمس عشرة سنة

في هذا المكان[٣].

والظاهر من هذه الرواية أن الصخرة جيء بها إلى كربلاء سنة ١٢٧٢هـ، ولم نجد من يذكرها من المؤرخين قبل هذا التاريخ.

وجاء في كتاب (جنات ثمانية): (أرض كربلاء محل ولادة حضرة عيسىعليه السلام حيث ذكر السجادعليه السلام: فقال في الوقت الذي كانت مريم حاملة بعيسىعليه السلام جاءت بقوة الإعجاز إلى كربلاء وفي مكان قبر الحسينعليه السلام ووضعت هذا الحمل وفي تلك الساعة رجعت إلى الشام)[٤].

وقال الرحالة عبد الوهاب عزام: وهناك زاوية يقال إنها مولد المسيح عيسى بن مريم[٥].

وجاء في كتاب (تاريخ وجغرافي كربلاء معلى) ما ترجمته: إن تاريخ صخرة المرمر المكتوب تحت نخلة مريم (وهزي إليك بجذع النخلة ١٢٢٥هـ)[٦].

وفي (الوسائل) حديث عن الشيخ أبو جعفر الطوسي قال نقل أبو حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدينعليه السلام رواية في بيان قول الله سبحانه وتعالى: (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً)[٧]، خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء. فوضعته في موضع قبر الحسينعليه السلام ثم رجعت من ليلتها، ومعنى ذلك قوله خرجت حضرة مريم من الشام حتى أتت إلى كربلاء فوضعت حضرة عيسىعليه السلام في موضع قبر حضرة الإمام الحسينعليه السلام وفي تلك الليلة عادت إلى الشام[٨].

وأما البقعة المباركة فإن الشيخ المجلسي أورد رواية في تفسير البقعة المباركة أن حضرة الصادقعليه السلام قال: إن شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في كتابه هو الفرات والبقعة المباركة كربلاء[٩].

وقال السيد عبد الرزاق الحسني: (وفي سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م شيد السلطان أويس الإيلخاني المسجد والحرم وأتمه وأكمله

ولده أحمد بن أويس سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م وقد وجد هذا التاريخ في المحل المعروف عند أهل كربلاء بنخلة مريم عند الرأس الشريف[١٠].

وقال الشيخ محمد السماوي في أرجوزته:

وتلك كالرخامة التي تلي
رأس الحسين في الجدار المجتلي
كحجر البيت تبين نهجا
بأن من زار كمن قد حجا[١١]

وجاء في كتاب (تحفة الزائرين) ما هذا تعريبه: فوق رأس الإمام الحسين زاوية معروفة بمولد عيسى بن مريم وهناك آية (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ...) على صخرة محفورة[١٢]، وجاء في (سفر نامة ناصر الدين شاه) في جهة رأس المرقد الحسيني على صخرة في نصف متر من المرمر منصوبة على الحائط، هذا الموضع مختص ويقال إنه مقام لجذع نخلة مريم التي ولد عندها عيسى عليه السلام، أما قصة ميلاد عيسى عليه السلام على هذا النحو: السيدة مريم عندما جاءها المخاض وتحرك وليدها وأراد الخروج إلى الدنيا خرجت من بيت المقدس حتى لا يراها أحد وتصبح في أعين الناس حقيرة ومورد الطعن والملامة، ولهذا السبب تركت بيت المقدس وتوجهت إلى مكان بعيد.

وجاء في تفسير الصافي عن كتاب التهذيب نقلاً عن الإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال: بأمر من الله طويت الأرض تحت أقدام مريم وبرمشة عين تركت بيت المقدس ووصلت إلى كربلاء وولدت نبي الله عيسى في محل قبر سيد الشهداء عليه السلام جاء إلى الدنيا وبرمشة عين حملته مريم وطويت لها الأرض ورجعت إلى بيت المقدس وتلك النخلة التي اتكأت عليها مريم وبأمر من الله أثمرت كما ورد في القرآن (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً) محل قبر سيد الشهداء.

في كتاب (قصص الأنبياء)[١٣] قال: قبل أن يغلف حرم سيد الشهداء بالمرمر عند حائط فوق الرأس كان هناك مكان على شكل محراب والناس يحكون ظهورهم عليه ويتبركون به ويقولون إن هذا المحل هو مكان ولادة عيسى وأي إنسان كان يؤلمه مكان في جسمه كان يحكه على ذلك المكان فيتعافى، ولكن بعدما غلف الحرم بالرخام رفعت تلك الصخرة (الصخرة الحمراء فوق رأس حرم سيد الشهداء) وكان لون أغلب رخام الحرم رمادياً، لكن عند الرأس الشريف توجد صخرة حمراء اللون تتصل عند الضريح المقدس، وأغلب الناس يصلون عليها، مؤلف السطور يحتمل إن هذه الصخرة هي تلك الصخرة التي كتب عليها ناصر الدين شاه في السفر نامة وهو يقول: إنها المحل الذي ولد فيه عيسى بن مريم، صخرة سوداء مائلة إلى الحمرة سألت عنها الزوار من خراسان قبل خمسة عشر عاماً وفي هذا المكان نصبت ويقول العوام إنهم يعتقدون بها ويصرون على لمسها والتبرك بها[١٤]، على هذا الاحتمال هذه الصخرة هي نفس الصخرة السابقة التي عند الرأس الذي ولد فيه عيسى، ومن الممكن إنهم جاءوا بالصخرة ونصبوها في هذا المكان عند القبر المقدس، ويعتقد الناس إن الصلاة في هذا المكان لها وجهتان الوجهة الأولى إنها في مقتل سيد الشهداء والوجهة الثانية إنها ولادة عيسى وهذا المكان يقع في السرداب[١٥].

وجاء في (تحفة العالم): إن الحسين عليه السلام قبض قتلاً بكربلاء من أرض العراق يوم

الاثنين قيل يوم الجمعة وقيل يوم السبت قبل الزوال وقيل بعده، يوم العاشر، وروى ابن عباس التاسع وليس يعتمد، من شهر محرم الحرام سنة ٦١ من الهجرة وله من العمر يومئذ سبعة وخمسون سنة وأشهر ودفن في كربلاء مما يلي مولد عيسى عليه السلام ويقال له الحائر الحسيني[١٦]. وقد وردت تفاصيل وصف هذا المقام في عدد من المصادر منها (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) ص٧١، و(مدينة الحسين) ج١ ص٣١ وص٤١.

أقول: أدركت هذه الصخرة في أواسط الأربعينات، وأنا في العاشرة من عمري، فوجدتها صخرة سوداء، فيما يلي الرأس الشريف أو بعبارة أخرى رخام يعرف بـ(نخلة مريم) ملصق على إحدى الدعائم، وكنت أرى الزائرين يتبركون بها وذلك بمسح طهورهم بها، وقد رفعت هذه الصخرة من الحائط سنة ١٩٤٧م بأمر من طاهر القيسي متصرف لواء كربلاء كما حدثني بذلك المرحوم السيد عبد الصالح آل طعمة سادن الروضة الحسينية المقدسة، وقد أكد ذلك الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة في كتابه (تاريخ كربلاء وحائر الحسين)[١٧].

والظاهر أن التدخل الزائد من قبل طاهر القيسي المذكور في شؤون العتبة الحسينية ونفوذه السلطوي في ذلك الوقت أدى إلى إزالة هذا الأثر التاريخي المقدس وآثار أخرى مهمة.

ولا ندري أين أصبحت هذه الصخرة اليوم؟ بعد أن كان الزائرون من مختلف جهات العالم يقصدونها ويتبركون بها. وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية نتساءل في الوقت نفسه هل ستقوم اللجان المشرفة على توسيع المدينة بإزالة آثار جديدة أخرى ومحلات قديمة؟!.

إننا نتطلع إلى أصحاب الشأن من ذوي العلم والفضيلة الذين نأمل منهم الإيعاز والتوجيه إلى الجهات المختصة بالمحافظة على آثار المدينة باعتبارها صروح حضارية وموروث تاريخي وديني لها قدسيتها ومكانتها في المجتمع ■

---

(١) كذا في الأصل، وقبل قليل قال: إنها نخلة مما يوحي بأنها نخلة واحدة.
(٢) سفر نامة عضد الملك، الفصل الرابع، ١٢٨٤هـ، ص١٦١، فارسي.
(٣) سفر نامة عتبات ناصر الدين شاه قاجار، ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، بقلم: إيرج أفشار، ص١١٧-١٢١، فارسي.
(٤) انظر: جنات ثمانية، محمد باقر، نقلاً عن البحار، محمد باقر المجلسي، ٢١٢/١٤، فارسي.
(٥) رحلات، عبد الوهاب عزام، ص٦٠.
(٦) تاريخ وجغرافياي كربلاي معلى، حسين عماد زاده، ١٥٢ص، فارسي.
(٧) سورة مريم/٢٢.
(٨) بحار الأنوار، للمجلسي، ٢١٢/١٤.
(٩) بحار الأنوار، للمجلسي، ٢٥/١٣.
(١٠) مجلة الدليل النجفية، ع٤ س٢ كانون الأول ١٩٤٧م، ص١٧٥.
(١١) مجالي اللطف بأرض الطف، الشيخ محمد السماوي، ص٥٣.
(١٢) مدينة الحسين، السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة، ج١ ص٥٤، نقلاً عن كتاب تحفة الزائرين.
(١٣) قصص الأنبياء، القرني الكلبايكاني.
(١٤) سفر نامة ناصر الدين شاه بعتبات، ص١٤٣، فارسي.
(١٥) تحفة الزائرين، الشيخ حسن التبريزي القاروبي، ص١١٦-١١٩، فارسي.
(١٦) تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، السيد جعفر بحر العلوم، ج١ ص٣٠٢ وص٣٠٣.
(١٧) تاريخ كربلاء وحائر الحسين، ط١ ص١٧٨.

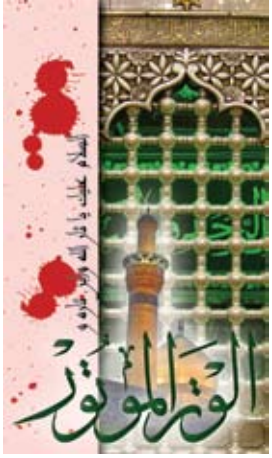

مواقف الشيعة ما بعد كربلاء..

عبد الله بن عفيف الأزدي أنموذجاً

علي عبد الزهرة الفحام •

ينابيع

تطرح المدرسة السلفية المعاصرة شبهات تاريخية تحاول من خلالها أن تقلب معادلات التاريخ التي صنعتها رجالات الشيعة وجماهيرها المجاهدة من أجل أن تغير المفاهيم الصحيحة الناصعة إلى هرطقات إعلامية تملأ فيها عقول الشبيبة السلفية في البلدان الإسلامية بالحقد والكراهية والكذب والتزوير خدمة لمصالح طائفية وفئوية ضيقة وبغيضة...

إحدى هذه الشبهات التي طالما عزفوها على وتر التشويه التاريخي ادعاؤهم أن شيعة العراق يتحملون المسؤولية المباشرة عن خذلان الحسين ابن بنت رسول الله صلوات الله عليهما وقتله وأهل بيته في واقعة كربلاء الأليمة حيث تراهم يروجون لهذه الفرية المحرقة في أدبياتهم الفكرية المنتشرة عبر شبكة المعلومات العالمية.

لا نريد هنا أن ندخل في التحليل التاريخي للتوزيع الديموغرافي والطائفي لسكان العراق وبالخصوص مدينة الكوفة وأين دور الشيعة في صياغة الحدث التاريخي في سنة ستين للهجرة لأن هذا له بحثه المستقل والمتشعب ولكن نحاول

في هــذه الجولة التاريخية أن نأخذ القارئ الكريم على موقف من مواقف أحد أبطال شــيعة العراق الأحرار الذي مثل التشــيع الناصــع والعقيــدة العلويــة التــي صنعت رجالاً لا يزال التاريخ مديناً لهم في نصرة الإســلام والــذب عن الدين وإعــلاء كلمة الحــق بوجه العتــاة الظالميــن.. إنها وقفة مع المجاهد الشــهيد (عبــد الله بن عفيف الأزدي) رضوان الله عليه.

الشيعة... طلائع المعارضة الشريفة

مثل خط التشيع منذ أن انحرف مسار الأمة الإســلامية واتفقت كلمتها على إزالة أهل البيت عليهم السلام عن مراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها مثل هذا الخط صوت المعارضة المحقة التي وقفت بوجه الباطل وثبتت مع أئمة الهدى مع قلة العدد وخذلان الناصــر يدفعهــا صلابة العقيــدة ووضوح الهدف ورســوخ الإيمان... فكان أن أخذت هذه العصابة المحقة قسطاً كبيراً من الظلم والفتك والتشــريد والتقتيل التي مارســته ضدهم الأنظمة الحاكمة بســبب مواقفهم الصلبــة والمبدئيــة فــي التســليم لأئمتهم وعدم الخضوع لأي ســلطة ما خلا سلطان أهل بيت رســول الله صلــوات الله عليهم أجمعين.

ولقــد كان أهل الحق من شــيعة العراق على قلة عددهــم يثيرون قلق حكام الجور وأئمــة الضلال لأن ما كان يصدر عنهم من مواقف بدأ يترسخ في ذهنية أبنائهم كثقافة غير قابلة للاستئصال مهما مورست معها أشــكال القمع الفكــري والمــادي... وقد تصاعــدت ثقافــة الرفــض بيــن صفوف القواعد الشيعية بعد واقعة كربلاء وأخذت

أيديولوجيا الوعي تنضج في ذهنية الطبقة الشيعية مما زاد من مأزق الأنظمة الحاكمة وأقض مضاجعها.

ويأتي الموقف البطولي الذي وقفه صاحب أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عفيف الأزدي في إطار ردود الفعل الكامنة في قواعد التشيع على جريمة بني أمية الكبرى بقتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبي حرمه وعياله وما تعرضوا له من إذلال وقهر وهتك على يد والي يزيد على الكوفة (عبيد الله بن زياد)...

الأزدي... مسيرة الولاء والشهادة

وللأسف فإن المصادر التاريخية الخاصة والعامة تخلو من ذكر تفاصيل حياة المجاهد عبد الله بن عفيف الأزدي وهي إحدى نقاط الضعف والثغرات التي يعاني منها الباحث في تتبعه لمسار الأحداث التاريخية..

ولكن رغم شحة المعلومات فإننا نستطيع أن نحدد ملامح الشخصية العقائدية للأزدي من خلال متابعة التوجه العقائدي لقبيلة الأزد ومسيرتها مع أهل البيت والصحابة..، يقول د. عمر كحالة في معجم قبائل العرب ١٥/١: (الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية... وفي سنة ٩هـ قدم صرد بن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد، فأسلم وحسن إسلامه، فأقره عليه الصلاة والسلام على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك، فخرج صرد يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...) ويبدو أن كثيراً من رجالات قبيلة الأزد كانوا في معركة الجمل في الجانب الآخر المعادي لأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن خدعتهم الدعاية الأموية والزبيرية والعائشية بقميص عثمان... حيث يضيف الدكتور كحالة: (وقاتلت الأزد تحت لواء عائشة أم المؤمنين سنة ٣٦ هـ، فقتل منهم في وقعة الجمل ٢٠٠٠ أزدي. وقيل: قتل منهم ١٣٥٠ أزدياً، واستعرت نار الحرب سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية، فانقسمت الأزد قسمين: فريق مع علي، وفريق مع معاوية..).

وفي تاريخ الطبري ٤٢٢/٣: (حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي قال: حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة رضي الله عنها أكثرهم ضبة والأزد..)... ورغم انحياز غالبية عشيرته في حرب الجمل إلى جانب عائشة بنت أبي بكر فإن عبد الله بن عفيف الأزدي لازم أمير المؤمنين عليه السلام منذ تلك المعركة وقاتل إلى جنبه حتى فقد فيها إحدى عينيه كما أجمعت على ذلك المصادر التاريخية... في بحار الأنوار ١١٦/٣٥: (وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل، والأخرى في يوم صفين) (انظر: تاريخ الطبري (ت٣١٠) ٣٥١/٤، مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧) ص ٢٠٧، الفتوح لأبن أعثم الكوفي (ت٣١٤) ١٢٤/٥، العوالم لعبد الله البحراني (ت١١١٣) ص ٣٨٧، مثير الأحزان لابن نما الحلي (ت٦٣٥) ص٧٣، اللهوف للسيد ابن طاووس (ت٦٦٤) ص٩٦، كشف الغمة لابن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣) ٢٧٩/٢،) وإذا دلنا هذا على شيء فإنه يدل على أن عبد الله الأزدي كان صلب العقيدة منفتح البصيرة إذ لم يتأثر بموقف الأغلبية الأزدية التي ناصرت أعداء أمير المؤمنين عليه السلام

ويبدو أن موقف عبد الله بن عفيف الأزدي وغيره من رجالات الأزد الشيعة المخلصين قد أثرت أثرها في أبناء عشيرتهم المغرر بهم فرجع أكثرهم إلى الحق وأصبحوا من خلص أصحاب علي ومن بعده الحسن والحسين عليهم السلام وقد وثق لهم أمير المؤمنين عليه السلام مواقفهم الولائية الشجاعة بأبيات شعرية نسبت إليه ذكرها المحدث القمي رحمه الله في سفينة البحار (٢٠/١) حيث قال: (مدح أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قبيلة الأزد في شعره [المنسوب إليه]:

الأزد سيفي على الأعداء كلهم
وسيف أحمد من دانت له العرب
قوم إذا فاجأوا أبلوا وإن غلبوا
لا يجحمون ولا يدرون ما الهرب
قوم لبوسهم في كل معترك
بيض رقاق وداودية سلب

إلى أن قال عليه السلام:

(والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا
أو فوخروا فخروا أو غولبوا غلبوا
أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا
أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا)

ورغم ما أصاب عبد الله بن عفيف الأزدي من جراحات في معركة الجمل ذهبت فيها عينه اليسرى إلا إنه واصل مسيرة الولاء والجهاد مع إمامه أمير المؤمنين عليه السلام فشارك باندفاع منقطع النظير في وقعة صفين (٣٨ هـ) وفيها فقد عينه اليمنى قال الطبري ٣٥١/٤: (فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى) فأصاب العمى كلتا عينيه إلا أن قلبه ظل يتوقد بصيرة فكان جل ما يدعو به ربه أن يرزقه الله الشهادة في طريق الحق وعلى يد شر خلق الله على ما سنذكره بعد قليل..

أما في الجانب السلوكي العبادي فقد لخصت المصادر التاريخية ملامح الشخصية الروحية للأزدي بجملتين:

أولاً: إنه كان (من خيار الشيعة وزهادها).

ثانياً: إنه (كان يلازم المسجد الأعظم فيصلي فيه إلى الليل)..

ولم تكن العبادة في نظر الأزدي طقوساً روحية جوفاء يمارسها الرجل حتى تصبح عادة نفسية يعتاد عليها بل استطاع هذا الرجل العراقي الكوفي الشيعي أن يجعل منها وسيلة للارتقاء المعنوي والأخلاقي يحقق للمؤمن رسوخاً في المبادئ وثباتاً على الحق ووضوحاً في الرؤيا وبذلك استطاع عبد الله الأزدي أن يورث أبناءه عقيدة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وأن يثبت على موقفه رغم كبر السن وكف البصر ووهن العظم ..

الأزدي في قلب المواجهة!

وحـان وقت المواجهة مـع العدو في ١٢ مـن محرم سـنة ٦١ للهجرة حيـث أدخلت سبايا أهل البيت عليهم السلام على الدعي بن الدعي عبيد الله بن زياد ودارت المواجهة الخطابية بين عبيد الله من جهة والإمام زين العابدين والسـيدة زينب عليها السلام من جهـة أخرى خرج منها عبيد الله بن زياد بمزيج من الانكسـار والخيبـة نغصـت عليه نشـوة النصـر بقتل الحسين عليه السلام لذلك أراد أن يعوض هذه الخيبة بخطبة يلقيها بالمصلين في مسـجد الكوفة حيـث يعتكف عبـد الله بن عفيـف الأزدي كعادتـه في كل يوم فلما حضر وقت الصلاة (نـودي الصـلاة جامعة فاجتمـع الناس في المسـجد الأعظم فصعد المنبـر ابن زياد: فقـال الحمد لله الـذي أظهر الحـق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسـين بن علي وشيعته..) وهنا لم يستطع ابن زياد أن يكمل كلامه حيـث تصدى له البطـل عبد الله بن عفيف الأزدي قائماً من بين الجموع وموجهاً أعنـف الكلمـات للأميـر المغـرور وكأنه يسـتخف به وبكل سـلطانه فوجـه له صفعة أخـرى قائلاً: (يـا ابن مرجانـة إن الكذاب ابن الكـذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابـن مرجانة [يا عـدو الله] أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين..).

والذي يدقق في هـذه العبارات يلمس بوضوح ملامح الخطاب الشـيعي الجريء والذكي الذي كانت تمثله المعارضة الشيعية حيث أزال عبـد الله الأزدي بكلماته كل ما كان يحيـط بالطاغيـة من هيبة السـلطان وسـطوة الحكـم ولم يهاجـم عبيد الله بن مرجانه وحده بل شـمل كلامه أباه زياد بن سـمية وأميـره يزيد وأبـاه معاوية بن هند وباختصار هو إسـقاط لكل رموز وأصنام الدولة الأموية..

ويبدو أن ابن زياد صعق لكلمات الأزدي فلم يزد على أن قال بغضب (من المتكلم؟!) فكانـت الصفعة الثانية من قبل عبد الله بن عفيف الأزدي حيث اقتحم الصفوف وقال بأعلى صوته:

(أنـا المتكلم يا عدو الله ! أتقتل الذرية الطاهـرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسـلام؟ وا عوناه! أيـن أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون مـن طاغيتك اللعين ابن اللعين علـى لسـان محمـد نبـي رب العالمين).. الفتوح ١٢٤/٥.

ومن خلال التمعن بدقة في كلمات هذا النص يمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: إصرار عبد الله بن عفيف الأزدي على موقفه وتحديه لطاغية معروف بسفكه للدماء وعدم تورعه عن المحارم بل ويكرر في مسامعه وعلى مسامع الأشهاد عبارة (يا عدو الله).

ثانيـاً: حاول الأزدي أن يسـتنفر البقية الباقية مـن الحمية الدينية التـي يمكن أن توجد في ضمائر الأمـة الميتة حين نادى: (وا عوناه ! أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك)..

ثانياً: روى الأزدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً بلعن يزيد بن معاوية وأبيه وقد سمع هذا الحديث كل مـن كان في المجلس من الرجال والنساء والصبيان.

انتفاضة الأزد في الكوفة

ومـن أجل أن يحفظ ابـن زياد ما تبقى له من هيبة منكسـرة أصدر أوامره العرفية

باعتقال عبد الله بن عفيف الأزدي (فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد فانطلقوا به إلى منزله) حيث يذكر الطبري وجود نحو ٧٠٠ مقاتل من الأزد من قبيلة عبد الله الأزدي حاضرون في الكوفة.. وكعادة الطغاة في أخذ البريء بجريرة غيره أمر ابن مرجانة باعتقال الشخصيات القيادية في قبيلة الأزد وعلى رأسهم (عبد الرحمن بن مخنف الأزدي) ثم وجه قادة شرطته المنافقين (عمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن الأشعث وشبث بن الربعي) على رأس قوة عسكرية كبيرة من شرطة الكوفة فاشتبكوا في معركة طاحنة مع عرب اليمن من قبيلة الأزد انتهت المناوشات بدخول مقاتلي ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف الأزدي غير آبهين بحرمة البيوت ولا عجب في ذلك فإن الذي ينتهك حرمة بيت رسول الله ﷺ لا يتورع عن بيوت عامة المسلمين.

و لم يكن في البيت سوى عبد الله وابنته المذعورة التي ما إن رأت الخيالة تدخل بيت أبيها حتى صاحت (يا أبت! أتاك القوم من حيث لا تحتسب!) وهنا تذكر ابن عفيف الشيخ الضرير صولاته إلى جانب إمامه علي بن أبي طالب فشمر للجهاد ووطد على الموت نفسه فأجاب ابنته (لا عليك يا ابنتي ! ناوليني السيف، فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر
عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر
وبطل جدلته مغادر...)

وهنا يتناقل المؤرخون عبارة قالتها ابنة عبد الله بن عفيف الأزدي لما رأت أباها يقاتل الأعداء وحيداً حيث نادت (يا ليتني كنت رجلا فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة) وهذه الجملة تكشف عن مدى تأثير التربية الشيعية في صنع إرادات الشباب في مقارعة الظالمين والبغاة المنحرفين، وإذ لم تستطع هذه الفتاة المؤمنة من المشاركة المباشرة في القتال اتخذت دور ما نسميه اليوم (الدعم اللوجستي للمعركة) فكلما هاجمته جماعة من جهة أشعرته بهجومهم فتارة تقول (جاؤوك عن يمينك أو أتوك من شمالك) فيذب عن نفسه حتى أوقع فيهم مقتلة كبيرة فأثخن بالجراح فتناوشوه من كل جانب وهو يرتجز:

أقسم لو فرج لي عن بصري
ضاق عليكم موردي ومصدري

ابن زياد يعزف على الوتر الطائفي

وانتهت المواجهة باعتقال عبد الله بن عفيف الأزدي فجيء به تحوطه الجلاوزة إلى عبيد الله بن زياد فدارت محاورة تاريخية مهمة بين الرجلين حاول فيها عبيد الله أن يبدو بمنظر المزهو المنتصر فبادر عبد الله قائلاً: (الحمد لله الذي أخزاك) فما كان من الأسير المثخن بالجراح إلا أن قابله بنفس الشدة والصلابة التي بدأ فيها أعظم جهاده فأجابه (يا عدو الله بهذا أخزاني؟!، والله لو فرج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري) صفعة أخرى أصابت ابن زياد في الصميم فلما فشل في انتزاع أدنى تراجع أو انكسار من عبد الله بن عفيف الأزدي راح يعزف على الوتر الطائفي محاولاً استنفار حمية

(العثمانيين والأمويين) الذين كان لهم ثقل مهم في قبائل الكوفة فبادر إلى سؤال غريب يكشف عن نيته السيئة لتصعيد الاحتقان بين الشيعة والعثمانيين في الكوفة فقال: (يا عدو نفسه! ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه؟)؟!.

ولكن على ما يبدو أن عبد الله بن عفيف الأزدي لم يكن فقط مجاهداً ومتنسكاً وعابداً بل كشف موقفه عن حنكته السياسية وذكائه ونظرته الثاقبة في مقاربة المواقف والأهداف وحرصه على إسقاط كل أوراق عبيد الله بن زياد وسحب البساط من محاولته اليائسة لتشويه مسيرة الحركة الجهادية الشيعية المتصاعدة في ارض العراق فكان أن أجابه بقوله:

(يا بن عبد بني علاج! يا بن مرجانة وسمية! ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعن يزيد وأبيه!).. حيث يعود الأزدي لتذكير المجتمع الكوفي بالخلفية الأخلاقية والنسبية لأميرهم الذي يعتلي منابرهم ويصلي في مسجدهم ويتحكم بأرواحهم وأرزاقهم فهو (ابن عبد بني علاج) وعبد بني علاج هذا رجل اسمه (أبو عبيدة) ادعى أبوة زياد بن سمية، أما (سمية) جدة عبيد الله و(مرجانة) أمه فهما أشهر من التعريف!

لم يعط عبد الله بن عفيف الأزدي رأيه في (عثمان بن عفان) لا مدحاً ولا ذماً وترك أمر محاسبته لله تعالى وهو بذلك نجح في تحييد التوجه الطائفي الذي كان عبيد الله بن زياد يرغب في فرضه على المجلس، وعندما عجز الأمير المقهور عن تحقيق أي مكسب في هذه المواجهة انتقل إلى الورقة الأخيرة التي كان الجميع بانتظارها فقال: (والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت [غصة بعد غصة]) ولكنها ورقة محترقة بنظر الأزدي الذي كشف للحاضرين عن سر كان يعيشه طيلة سنين طويلة بعد ذهاب عينه الثانية في صفين فقال:

(الحمد لله رب العالمين أما إني كنت اسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه فلما كف بصري يئست من الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس [منها، وعرفني الإجابة منه في قديم دعائي])..

وهكذا سقطت جميع أوراق عبيد الله بن زياد فما كان بيده إلا أن أمر بضرب عنق ذلك الشيخ العراقي الشيعي الأزدي وما اكتفى بضرب عنقه وإنما أمره بصلبه في (السبخة) وهي المناطق المالحة الوسخة التي يجتمع في الماء الآسن... وقد أشار السيد البراقي (ت١٣٣٢) في تاريخ الكوفة ص ١٠٣ إلى مكان قبره قائلاً: (وأما عبد الله بن عفيف الأزدي، فإنه دفن بالسبخة وقبره قريب من مقام يونس عليه السلام).

وهكذا مثلت صورة الشيخ (عبد الله بن عفيف الأزدي) انطلاقة الوعي الجماهيري الشيعي في مرحلة ما بعد واقعة الطف والتي أصحبت عقيدة يتوارثها أبناء الشيعة كابراً بعد كابر، يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣) (أصل الشيعة ٢٠٧): (وكانت هذه العقيدة الإيمانية، والعاطفة الإلهية، كشعلة نار في نفوس بعض الشيعة، تدفعهم إلى ركوب الأخطار، وإلقاء أنفسهم على المشانق، وتقديم أعناقهم أضاحي للحق، وقرابين

للديـــن. اعطف بنظرك في هذا المقام إلى حجـــر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ورشيد الهجري، وميثم التمار، وعبد الله بن عفيف الأزدي، إلى عشـــرات المئـــات مـــن أمثالهم، أنظـــر كيف نطحوا صخرة الضلال والجور وما كسرت رؤوسهم حتى كســـروها وفضخوها، وأعلنوا للملأ بمخازيهـــا، فهل تلك الإقدامات والتضحية مـــن أولئك الليـــوث كانت لطمـــع مال، أو جاه عنـــد أهل البيـــت عليهم السلام، أو خوفاً منهم وهم يومئذ الخائفون المشـــردون؟! كلا، بل عقيـــدة حق، وغريزة إيمـــان، وصخرة يقين..) أما الشـــيخ باقر شـــريف القرشي فيوثق جهود الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في صنع هذه الشـــخصيات العظيمة قائلاً: (وأوجـــد الإمام فـــي أثناء حكمـــه القصير وعياً أصيـــلاً في مقارعة الظلم، ومناهضة الجور فقـــد هب في وجـــه الحكم الأموي أعـــلام أصحابه كحجر بن عـــدي، وعمرو بن الحمـــق الخزاعي، وعبد الله بن عفيف الأزدي وأمثالهـــم مـــن الذيـــن تربوا بهدي الإمام، فدوخـــوا أولئك الظالمين بثورات متلاحقة أطاحت بزهوهم وجبروتهم، لقد كان حكـــم الإمام - حقا - مدرســـة للنضال والثـــورة، ومدرســـة لبث الوعـــي الديني والإدراك الاجتماعـــي..) (حيـــاة الإمـــام الحسين ١١١/٢).

ويضيف القرشي في كتابه الآخر النظام السياسي في الإسلام ص ١١٣: (لقد قامت الشيعة في تلك العصور الرهيبة بدور مهم فـــي مقارعة الباطل، والتمـــرد على الظلم والنقمة على حكام الجور، فقد أعلنوا في أحرج الظروف وأقســـاها ســـخطهم البالغ على الســـلطة الحاكمة، فهـــذا عبد الله بن عفيف الأزدي البصير الذي وهبه الله نوراً في بصيرته قـــد ثار في وجه الطاغية عبيد الله بن زياد حينما خطب على تلك الوحوش الكاســـرة والبهائم الحقيرة من أهل الكوفة بعد مقتل سيد الشهداء معلناً السب والشتم للإمام الحسين فانبرى إليه البطل الفذ عبد الله قائـــلا لـــه: (إنما الكـــذاب أنت وأبوك ومن اســـتعملك وأبوه - يعني به يزيد وأباه معاويـــة - يا عبد بني عـــلاج، أتقتلون أبناء النبيين، وتصعدون على منابر المسلمين، أين أبنـــاء المهاجرين والأنصـــار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين على لســـان النبي الأمين). إن هذا الموقف الرائع قد ســـجله التاريـــخ بمداد من النـــور والفخر فإنه من أروع ألوان الجهاد يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن من أعظم الجهاد عند الله كلمة حق عن سلطان جائر) انتهى كلام القرشي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

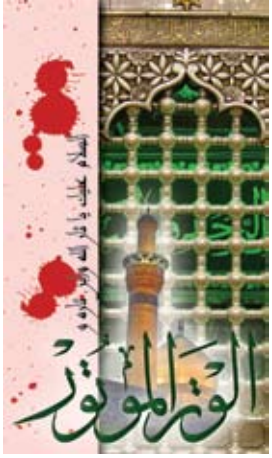

أصحاب الحسين عليه السلام.. أفضل الشهداء

الشيخ وضاح الظالمي •

ينابيع

قال الإمام الحسين عليه السلام: (**ما علمت أصحاباً خيراً من أصحابي**).

هذه الكلمة المدوية التي أطلقها أبو عبد الله الحسين عليه السلام تحمل في ثناياها معاني كبيرة ودلالات عظيمة ففيها أوسمة وسم بها أبو الأحرار عليه السلام تلك الثلة المؤمنة من أصحابه والتي لم ير لها التاريخ مثيلا في الصبر والشجاعة وإرخاص الأنفس في سبيل العقيدة.

فإذا تأملت جيداً في قوله عليه السلام: (ما علمت) تجد أنها تشير إلى أن هؤلاء الأصحاب هم أفضل ما خلق الله من الأصحاب وذلك لأن علم الإمام المعصوم لا يختص بزمانه ولا بمكانه وإنما يشمل جميع الأزمنة والأمكنة التي خلقها الله تعالى وقد ورد ذلك في كثير من روايات أهل البيت عليهم السلام نذكر منها روايتين.

الرواية الأولى: في الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبد الله بن حماد عن سيف التمار قال: (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنه ويسره فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب

البينة ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثة) ١/ ٢٦٠.

الرواية الثانية: في الكافي عن عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن سفان عن يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة وعدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إني لأعلم ما في السموات والأرض وأعلم ما في الجنة واعلم ما في النار واعلم ما كان وما يكون. قال: ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، أن الله عز وجل يقول: (فيه تبيان كل شيء)) ١/ ٢٦٠.

فمن هاتين الروايتين نعرف أن مقولة الحسين عليه السلام يقصد فيها أن أصحابه هم أفضل الأصحاب على وجه الأرض. والسؤال الذي نطرحه في هذه الأمسية المباركة هو حول السبب الذي جعل أصحاب الحسين عليه السلام بهذه المنزلة العظيمة ويمكن لنا ان نرجع هذه الأفضلية إلى خمسة أسباب رئيسية:

السبب الأول: تعلمون أيها الأخوة أن واقعة الطف حدثت في مطلع السنة ٦١ للهجرة وهذا يعني أن أصحاب الحسين عليه السلام عاشوا في الفترة الخصبة من حياة الرسالة المحمدية ونعني بالفترة الخصبة هي الفترة المحصورة بين هجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وبين استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ليلة الحادي عشر من رمضان لسنة ٤٠ للهجرة. وقد سميت بالخصبة لعدة أسباب من أهمها ومما يتعلق بمحل كلامنا هو إن الخط الالهي الذي رسمته السماء خط النبوة والإمامة

تسلم مقاليد الحكم وأصبح هو الحاكم والقائد وذلك في السنوات العشر الأولى عندما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الحاكم للمسلمين وكذلك في السنوات الأربع الأخيرة عندما أصبح أمير المؤمنين حاكماً للمسلمين وهذه الحاكمية والقيادة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولأمير المؤمنين عليه السلام كان لها الأثر الكبير في نفوس القلوب الطاهرة التي دخلت الإسلام لا لغرض دنيوي بل لأنها رأت فيه روح الحب والسماحة والإنسانية.

فعلى هذه القيادة الحقة والموقف الصلب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام تربت تلك النفوس المؤمنة فكانت كقيادتها نفوس كبيرة تأبى الضيم ولا تنام على الذل وإنها بقدر المسؤولية عند الاعتماد عليها فقد ترى المواقف العظيمة لهما عند تعرض الإسلام إلى المنعطفات التاريخية الخطيرة التي تعرض لها والتي كادت تؤدي بالرسالة المحمدية لولا تلك الحنكة في التدبير لدى المعصوم عليه السلام مما حافظ فيه على بيضة الإسلام من الضياع والانحراف عن جادة الحق. وكمثال على قوة البصيرة في التدبير ما حصل عندما صار أمير المؤمنين عليه السلام والياً على المسلمين فإنه ومنذ اللحظات الأولى قرر أن يعزل معاوية عن ولاية الشام ولم يتهاون أو يتهادن معه في هذا الأمر وأعلن أنه من أولى الأوليات التي يقوم بها هو عزله عن الولاية والتي انتهت بتلك الحرب التي انتصر بها أمير المؤمنين عليه السلام وأراد معاوية فيها الفرار لولا الخديعة التي قام بها داهية النفاق عمرو بن العاص برفع المصاحف التي أدت إلى إحداث الانشقاق في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام.

وشاهدنا في ذلك هو أن المتتبع لهذه الإحداث لو وضع نفسه مكان أمير المؤمنين عليه السلام لتريث وتوقف في عزل معاوية إلى أن يشتد ملكه فيقوم بعزله ولكن ذلك لا يجري ولا يكون عند أمير المؤمنين عليه السلام لأنه يمثل الخط غير المهادن وغير المخادع وأن موقفه واحد هو أما الرضا بفعل معاوية وعدم عزله وإما عزله مباشرة من دون تريث ومهادنة. فعلى هذه الحال تربت نفوس أصحاب الحسين عليه السلام أي على عدم المهادنة وصلابة الموقف ووحدته وهو إعلان لعدم الرضا بالظلم والطغيان والوقوف إلى جانب الحق عند الشدة واصطكاك الأسنة ولن يقبلوا لذلك بديلاً مهما كان.

السبب الثاني: أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من تنوعهم من حيث المذهب ومن حيث الوجاهة عند الناس إلا أنهم يشتركون في صفة الصدق مع أنفسهم فكانوا واضحين وصادقين عندما يرجعون إلى أنفسهم.

فبعضهم كان قد حدد موقفه منذ سنوات عديدة بل انه يعلم أنه سيقتل في طف كربلاء قبل عشرات السنين أمثال حبيب بن مظاهر الاسدي فقد وطن نفسه على الاستشهاد مع الحسين عليه السلام إذ أن الرواية التي نقلها الشيخ أبو عمرو الكشي رحمه الله في رجاله تقول: مرَّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الاسدي عند مجلس بني أسد فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد

صُلب في حب أهل البيت عليهم السلام تبقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ظفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة ثم افترقا. فحبيب كان صادقاً مع نفسه وحدد موقفه من أول الأمر. وبعضهم تأخر في تحديد موقفه مع الحسين عليه السلام كزهير بن القين إذ أنه انضم إلى معسكر الحسين عليه السلام متأخراً فقد كان عثماني الهوى وقد جاء من الحج مع عائلته وأصحابه وكان يتحاشى أن ينزل في مكان قريب من الحسين عليه السلام ولكن القدر اجبره أن ينزل على مشارف الكوفة في المكان الذي نزل فيه ركب الحسين عليه السلام فبعث الحسين عليه السلام رسوله إلى زهير فجاءه وطلب منه ان يحل ضيفاً على الحسين عليه السلام فعندما أتم الرسول كلامه سكت القوم وكأن على رؤوسهم الطير ولم يتكلم أحد إلا امرأته وهي دلهم بنت عمرو فقالت له: اجب داعي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندما جاء إلى الحسين عليه السلام لم يبذل الحسين عليه السلام جهداً كبيراً في إقناعه بالانضمام إليه سوى أنه ذكره بموقف كان قد نسيه زهير بن القين.

وهذا الموقف هو عند انتصار جيش المسلمين في معركة حدثت في مدينة بلنجر (وهي مدينة في بلاد الخزر عند باب الأبواب) فبعد أن فرحوا بالغنائم قال لهم سلمان المحمدي رضي الله عنه أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم.

ويتضيق وقت النصرة إلى أن يصل إلى دقائق معدودة نشبت الحرب وقتل من قتل من أصحاب الحسين وأصبح الموقف أكثر حراجة تحرك بعض من كان مع جيش الضلال إلى جيش الحسين عليه السلام من أمثال النصرانيان والحر بن يزيد الرياحي وهذا التحول ليس وليد ساعته من حيث الوعي والفكر ولكن ذلك الوعي كان محتاجاً إلى الموقف الحرج الذي ينطلق فيه فمن انتقل إلى جيش الحسين عليه السلام كان عازماً على عدم قتال

الحسين عليه السلام من أول الأمر ومما يدل على ذلك بعض اللمحات من قصة الحر بن يزيد الرياحي حيث أنه صرح بذلك في مواقف ثلاثة:

الأول: على مشارف الكوفة عندما قال له الحسين عليه السلام: ثكلتك أمك ما تريد؟ قال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لايدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة. وهذا الرأي يعتبر خيانة لعبيد الله بن زياد ولكنه قام به كي لا يصطدم مع الحسين.

الثاني: قول الحر للحسين عليه السلام: فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك.

الثالث: عندما أقبل أربعة من أهل الكوفة لنصرة الحسين عليه السلام على مرأى ومسمع من الحر وجيشه دار الكلام في شأن قبولهم بين الحر والحسين عليه السلام ولكن عندما قال الحسين عليه السلام: هم أصحابي فإن بقيت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك فعند ذلك قبل الحر بانضمامهم إلى معسكر الحسين عليه السلام خوفاً من مناجزته.

فكان الحر رضي الله عنه صادقاً مع نفسه من أول الأمر ولكنه أظهر ذلك عندما وقعت المعركة فترك قيادة تميم وهمدان واصطف مع معسكر الحسين عليه السلام.

السبب الثالث: قوة العزيمة لدى أصحاب الحسين عليه السلام نتيجة قوة الخطاب الحسيني والتأثير الكبير له في نفوسهم، فقد كانت خطابات الحسين عليه السلام الكثيرة والمركزة تزيد من إصرارهم وعزيمتهم وكانت بقوة وبلاغة عاليتين جداً حتى أنه قال عنها أحد الأدباء (وصلت خطابات الحسين عليه السلام المتعلقة بالواقعة حداً فاقت فيه كلام سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام). ولا عجب في ذلك فأن صوت الحسين عليه السلام بقي مدوياً إلى هذا اليوم يتلذذ بسماعه أحرار العالم فكأنه اليوم قد قاله وكأنه اليوم أسمعه يقول:

(خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى).

ففي هذه الخطبة نعى الحسين عليه السلام نفسه ثم أعلن فيها الثورة.

ثم بين صلى الله عليه وآله وسلم الدليل الشرعي لثورته حتى لا يترك مجالاً للشك في مشروعيتها فقال عليه السلام:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله إلا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا

الحدود واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وإني أحق بهذا الأمر ـ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لقرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فهذه الكلمات العظيمة بعثت روح العزيمة في أصحاب الحسين (عليه السلام) مما جعلتهم يتسابقون على الموت دونه.

السبب الرابع: هو أن أصحاب الأنبياء وأصحاب الأوصياء قد خاضوا المعارك وهم يأملون أن يفوزوا بإحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة فكان احتمال النصر والحفاظ على النفس كبيراً بل يتحقق النصر في كثير من الأحيان.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن أصحاب الأنبياء وضعوا أمامهم احتمال النصر في عدة مواضع.

الأول: قوله تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (آل عمران ١٤٦، ١٤٧).

الثاني: ما ذكره من قصة داود (عليه السلام) فقال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) الآيتين ٢٤٩، ٢٥٠ من سورة البقرة.

الثالث: قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) البقرة ٢١٤.

ولا يختلف الحال بالنسبة إلى أصحاب الإمام الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فهم موعودون بالنصر

على أعدائهم بل أنه حتمي لهم وذلك لأن الله وعدهم بالنصر في عدة مواطن والله لا يخلف الميعاد.

الأول: قال تعالى: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) النور الآية ٥٥.

فقد روى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة. وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي أسمه أسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وروي ذلك عن ابي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام. وقال العلامة الطباطبائي في هذه الآية: (فالحق أن الآية إن أعطيت معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام).

الثاني: قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الانبياء:١٠٥. ففي تفسير القمي قال: القائم واصحابه.

الثالث: قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص:٥.

ففي معاني الأخبار عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر الى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي. قال المفضل فقلت له: ما معنى ذلك؟ قال: معناه إنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول: (ونريد...) فهذه الآية جارية فينا الى يوم القيامة. وغير هذا الكثير من الآيات التي اعرضنا عنها اختصاراً والتي تشير إلى أن نصرة أصحاب الإمام الحجة على أعدائهم هو من القدر المحتوم الذي لا يتبدل ولا يتغير.

ولكننا إذا رجعنا إلى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نجد أن الحسين عليه السلام لم يعدهم بالنصر مطلقاً. فأننا لو تابعنا مسيرة الحسين عليه السلام نجد أنه يكرر في كل مناسبة أنهم يتجهون صوب المنية ولا بديل عن المنية، فهم متيقنون أنهم سيقتلون جميعاً ولا أحد ينجو من تلك المعركة ولم يضعوا في حساباتهم احتمال النصر ونجاة الأنفس من الموت. ويتضح ذلك أكثر عندما نعرف أن الحسين عليه السلام خرج من مكة ومعه أكثر من ٣٠٠٠ مقاتل ولكن صراحة الحسين عليه السلام مع جيشه في أنهم سيقتلون جميعاً لم يبق معهم سوى هذه الثلة القليلة. ولا نجد صراحة أكثر من قوله عليه السلام عند خروجه من مكة: (خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة) وقوله عليه السلام: (إن الله قد أذن في قتلكم وقتلي).

وفرق كبير بين من يدخل إلى ساحة المعركة وهو متيقن بالموت وبين من يدخل وهو واضع احتمال النصر أمامه.

السبب الخامس: صعوبة الاختبارات التي مرّ بها أصحاب الحسين عليه السلام.

فان أصحاب الرسل والأنبياء قاتلوا مع أنبيائهم ضد الكفر والباطل في حال كان فيه الباطل واضحاً فقد كان الخصم معلناً ومتجاهراً بضلاله وكفره أي أن الباطل كان متميزاً وواضحاً فلم يتردد

أحد مثلاً أن فرعون أو جالوت أو قريش كانوا على الكفر. وحتى في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فبالرغم من أن معاوية كان يدعي الإسلام والحق إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان وقتذاك هو الخليفة والحاكم لبلاد المسلمين فكانت الصورة هي أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة وأن معاوية هو الباغي والخارج على إمام زمانه وهو الذي مرق عن الدين.

وأما في أصحاب الحسين عليه السلام فقد كانت الصورة ضبابية وغامضة عند أغلب المسلمين فأن الدولة الأموية في جميع بلدان الإسلام كان تثقف على أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو يزيد بن معاوية وأن الحسين عليه السلام خرج ليشق عصا المسلمين فكانوا يصورون أن يزيد هو إمام زمانه وأن الحسين عليه السلام قد خرج على إمام زمانه.

وقد أثير لغط شديد حتى في أوساط الموالين لعلي عليه السلام حول مشروعية قيام الحسين عليه السلام بالثورة على يزيد وامتنع البعض عن النصرة بحجة أن القضية شخصية تختص بالحسين عليه السلام فقط فهو لا يريد أن يبايع يزيد فهاجروا إلى بلدان اليمن ومصر والبصرة لكي لا يأخذ يزيد عليهم البيعة. فكانت العقبة كبيرة جداً وكان التردد في نصرة الحسين وارد جداً وقد صدر من بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مما يكون سبباً في تثبيط العزيمة لمن يريد أن ينصر الحسين عليه السلام ولكنهم تجاوزوا هذه العقبة الكؤود وأصروا على الجهاد بين يدي الحسين ومما زاد في إصرارهم خطبة الحسين عليه السلام على مشارف الكوفة التي بين فيها مشروعية الثورة وأن الحسين عليه السلام ليس هو الوحيد الذي شرع في حقه الجهاد فإن الرواية التي نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت شاملة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى سلطاناً) فكان تكليف كل من كان في ذلك الزمان هو الجهاد تحت راية الحسين.

وفعلاً أرخصت تلك الجماعة المؤمنة دمائها في سبيل الحسين عليه السلام ونالت شرف الشهادة بين يدي سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقبلوا إلا أن يستشهدوا قبل أهل بيته فكان حقاً على التاريخ أن يخلدهم وكأنهم كانوا أمام الشاعر الذي قال:

قوم إذا نودوا لكشف ملمة
والقوم بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا
يتسابقون على ذهاب الانفس

فسلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ورحمة الله وبركاته ■

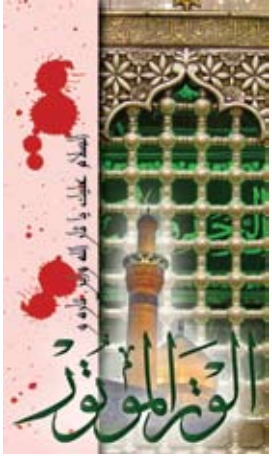

قصيدة:

زحفاً للحسين عليه السلام

إبراهيم الكعبي •
العتبة العلوية المقدسة

أتنظر أم أنت لا تنظرُ ... أما راع مقلتك المنظرُ
وماذا تشاهد هل سيل موج ... تحدر من بشرٍ يهدرُ
كسيل من العرم المستفيض ... يحار به الواصفُ المخبرُ
كما ولو أن بطون الغمام ... بحب الحسين غدت تبقرُ
ففاض بها كل فج عميق ... رجالاً فلا راكباً تظهرُ
إذا قيل جفت بطون الفجاج ... تفجر تعدادها الأغزرُ
كما البرق لاح ضياء الحسين ... فبالزائرين غدت تمطرُ
وحال اصفرار أديم العراق ... سواداً فبالناس يستشجرُ
كأن الثرى في طريق الحسين ... مدافن أصحابها تنشرُ
ليوم الحساب أو استنبتوا ... نباتاً وكالشجر أخضوضروا
علام ومن أجل من أسرعوا ... ومن أجل ماذا قد استنفروا
يدوون كالنحل في سيرهم ... يسبح هذا وذا يشكرُ
وذاك يصلي بجنب الطريق ... وذيّاك يبكي ويستغفرُ
أجل إن علقتهم بالحسين ... أجل وأعظم لو تشعرُ

وذلـــك أن قـلـوبـاً لـهـم ... حـوت حـبـه وكـيـف لا تطهرُ
وتـحـوي ضمائر مثل الحسين ... ريـاحـيـنـهـا لـم تـزل تـعـطـرُ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كـأن الحسين أخـوهـم وكـان ... أبـا الـزاحـفـيـن لـه حـيـدرُ
فـسـيـمـاهـم سـمـة الـمـتـقـيـن ... فـلا يـعـتـدون إذا أمـروا
ولا يـقـهـرون ضـعـاف العباد ... ولـكـن يـجـلـون أن يـقـهـروا
ولا يـظـلـمـون بـضـعـف الـذي ... يـكـال لـهـم وإذا اسـتـنـصـروا
فـلا يـحـفـلـون بـكـون الـردى ... يـفـوتـهـم حـيـن لـم يـنـصـروا
أدلاء لـلـخـيـر لا يـقـنـعـون ... مـن الـبـذل مـهـمـا لـه أكـثـروا
ومهما الـنـواهـش فيهم غدت ... تـلـوك وتـدفـن أو تـفـجـرُ
فـلا يـنـقـصـون ولا ينقضون ... لأن قـضـيـتـهـم أكـبـرُ
لأن الـحـسـيـن لـهـم مـصـدر ... ولـن ينقضي ذلـك الـكـوثـرُ

ولـــن ينتهي نسلهم فـي البلا ... د نـعـم ينتهي الـشـانـئ الأبـتـرُ
ســـلام عـلـيـهـم ســـلام على ... أدلاء لـلـحـق لـــم يـفـتـروا
ولـم يتعبوا مـن طـويـل العناء ... بـرغـم الـطـغـاة ومـــا كـــدروا
ومـــاذا أيـنـجـس فـيـض البحار ... إذا الـكـلـب فـي مـائـه يكشرُ

* * * * *

ســلام عليهم عـتـاد الحسين ... بـهـم بـيـن كـل الـــورى يفخرُ
يـقـول فـمـن مـثـل زوارنـــا ... ومـــن مـثـلـنـا يـقـصـد الـــزورُ
ويـدعـو حـبـيـبـاً وفـي كنفه ... سـجـل وفـــي طـرسـه يـسـطـرُ
يـسـجـل أســـمـــاء زواره ... حـبـيـب عـلـى ذاك مـسـتـوزرُ
يـقـول أتـــدري حـبـيـب الـذي ... لأولاء فـي حـشـرهـم أضـمـرُ
ومـــن مـنـهـم حـضـرتـه الـوفـاة ... فـإنـي لـــدى مـــوتـــه أحـضـرُ
ولـسـت إلـى تـركـهـم أستطيع ... سـبـيـلاً وهـــم لـي مـا قـصـروا
إذا طـلـبـوا عـالـيـات الـجـنـان ... فـداهـم وعـــذري لـهـم يـجـدرُ
وكـيـف تـعـز عـلـيـهـم وهـم ... لأجـلـي دمـاهـم غـدت تـهـدرُ
حبيب فسجل كـبـار الشيوخ ... ولا تـنـس نـسـوتـهـم تـذكـرُ
ولا تـنـس تـكـتـب أطـفـالـهـم ... تـــقـــول بـــأنـــهـــم قـصـرُ
فـهـم لـذويـهـم لـديـنـا شـهـود ... بـــأن ذويـــهـــم لـنـا أصـحـروا
وسـجـل بـنـاتـهـم والـشـبـاب ... وثـــوب الـحـيـاء لـهـم مظهرُ
وكـــرر كـتـابـة بـيـض اللحى ... فـسـعـيـهـم واجـبـــاً يـشـكـرُ
حـبـيـب أتـعـلـم كـم زائـــراً ... فـعـدهـم كـــاد لا يـحـصـرُ
يـضـيـق بـه ورق الحاسبين ... وتـثـقـل عـن حـمـلـه الأسـطـرُ
فـلا تختصرهم بـذكـر الجموع ... لأن فـــرائـــدهـــا تـكـثـرُ
فـإنـي أعـرفـهـم بـالـشـخـوص ... وكـــل تـفـاصـيـلـهـم أذكـــرُ

* * * * *

حبيب ولـي خـدم مخلصون ... أجـل مـن الـوصـف إن صـوروا

يـــلـــذون خـدمـتـنـا مـثـلـمـا ... يـلـذ لـطـعـم الـفـم الـسـكـرُ
مـواكـبـهـم فـي طـريـق المشاة ... وداخـلـهـا بـالـهـنـا يـشـعـرُ
يـنـفـس عـنـه عـنـاء الـمـسـيـر ... ومـا مـنـة عـنـدهـم تـذكـرُ
يـهـشـون فـي أوجـه الـزائـريـن ... على قـدر مـا كـثـروا استبشروا
لإكـرامـهـم قـد أهـانـوا النفوس ... وذلـك أروع مـا سـطـروا
تـسـمـوا بـخـدمـة زوارنـا ... وهـم سـادة الأرض والمفخرُ
قليلون فـي الأرض أمثالهم ... ومـا فـي السما مثلهم معشرُ
فـريـقـان فـي سـبـق للجنان ... فـيـكـرم هـذا وذا يـشـكـرُ
وإن مـوكـب قـل أضـيـافـه ... تـحـايـل كـي عـنـده يـحـضـروا
ويـقـنـع بـالـخـدع الـزائـريـن ... ولـم يـقـصـدوه بـأن يـمـرروا

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

حبيب فسجل لهم ضعف ما ... يـرومـون مـنـي ومـا قـدروا
وإن خـادم زاد أضـيـافـه ... عـلـى حـد مـا تـسـع الأقـدرُ
فـضـاعـف عـلـيـه إذا عينه ... عـلـى وجـهـه أصـبـحـت تقطرُ
ولا يـبـتـئـس فـأنـا ضـيـفـه ... وإن قـال فـي بـابـه الـحـضـرُ
وإنـي لـيـؤنـسـنـي بـالـقـلـيـل ... وفـي لـيـل وحـدتـه أسـمـرُ
أحـب مـواكـبـهـم كـلـهـا ... وأحـسـنـهـا الـمـوكـب الأصـغـرُ
لأن مـضـيـف زوارنـا ... يـخـجـلـتـه لـم يـزل يـشـعـرُ
ولـم يـتـبـاه ومـا لـلـريـاء ... بـخـاطـره خـاطـر يـخـطـرُ
فيا زائـري فـي طـويـل الطريق ... صـغـيـر الـمـواكـب لا تنظرُ
لأن الـبـسـاط بـهـا لا يقيل ... مـن الـحـر والـبـرد لا تستر
ومـن فـيـه مـن خـدم يضعفون ... بـبـذل كـمـا غـيـرهـم شـمـروا
تـأدب بـآدابـنـا واسـتـرح ... بـأضـعـفـهـا كـلـمـا تـعـثـرُ
عـلـيـهـا ولا تـتـركـن مـوكـباً ... لـعـلـك بـي وسـطـه تـظـفـرُ
أتـنـظـر أم أنـت لا تنظر ... أمـا راع مقلتك الـمـنـظـرُ ■

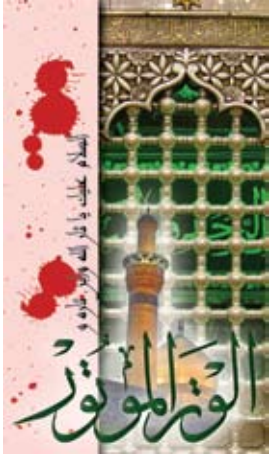

من رواد المنبر الحسيني..

الخطيب الشيخ عبود النويني

حسين جهاد الحساني •
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع

الخطابة: فن اشتهر عند العرب وغيرهم في الجاهلية والإسلام، فقد كانت أفضل أداة يتمكن بها الخطيب من استطلاع رؤى الناس وتثقيفهم وتقويمهم، إذ كانت وما تزال الواسطة الفضلى في نشر الدعوة تبليغ الحجة وبث الموعظة والحكمة.

وقد كانت الخطابة تنافس الشعر ولعلها أجل منه وأقدس وأقوى أثراً إذ أنها أخذت مذهب التأثير والإقناع. والخطابة هي سر من أسرار مستودعات البلاغة ومجامع الحكم، بها تفاخرت العرب في نزالاتهم ومشاهدهم وبها نطقت الأنبياء والأئمة والخلفاء والأمراء على منابرهم، ولذا من هنا جاء اهتمام العرب بها واعتنائهم بمسارها فكانت عندهم أكثر حظاً من الشعر.

وبالحق أن الخطابة من أعظم الآلات السياسية والدينية والعلمية، فإنها الواسطة للتأثير في العقول والقلوب، فكأنها سوط يساق به إلى الأعمال أو قيد يقيد به الناس، ولها في الأديان والسياسات حوادث ذات أهمية جاءت بانقلابات عظيمة وتغيرت بها أحوال كثيرة.

ولما كانت الخطابة الوسيلة الفعالة من وسائل الإقناع والإبلاغ الشفهي القوي التأثير في إدراك الناس وسلوكهم، ولما كانت المرحلة تتطلب الدعوة إلى الدين الحنيف والحث على مقدساته ومعتقداته الأساسية، إذ كان لابد من أن تشمر لها سواعد توقف ذلك الزحف البغيض من التعدي على حقوق هذا الدين وترد مزاعم المأجورين في ذم مقدساته، وتوضيح الصورة الصحيحة والرسالية لتاريخنا الإسلامي الناصع.

فكان الخطيب محور الأمة وقطب رحاها ولسانها المعبر عن أفراحها وأتراحها، فقد عرف العلة والمزاج فكان هو العدة والعلاج، إذ استسقى ثقافته من أفضل مصادر التاريخ وأنقاها، وتحرى عن المعاني والألفاظ من مراجعها الأصلية، وريض لسانه وعقله وجسمه من عناصر الثقافة الحديثة.

وما على الخطيب إلا أن يمرن نفسه عليها بالإنشاء والإلقاء والمناظرة زمناً طويلاً من طفولته إلى كهولته ليمتلك بحق ناصية الخطابة الحرة.

فكان خطيبنا ومترجمنا ممن اتصف بهذه الصفات وتشكلت بشخصيته صفات الخطيب البارع، فكان في الخطابة الحسينية فارسها ومودع سرها دون منازع، ذلك هو الشيخ عبود النويني الغراوي.

اسمه وولادته وأسرته

هو الشيخ عبود بن الشيخ مهدي بن الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن ناصر بن قاسم النويني الغراوي. وآل غرة هم قبيلة كبيرة منتشرة في الفرات ودجلة إذ أنهم من الطوائف العراقية القديمة نزحت من نجد الى العراق في القرن التاسع الهجري، ترجع نسبها إلى الخزرج، وأول نزوحهم كان إلى مدينة العمارة (ميسان) ثم هاجرت ثلة منهم إلى الفرات، ثم قطنت هذه القبيلة النجف الأشرف في أواسط القرن الثالث عشر، شعارها الزهد والورع والتقوى ولا تزال متمسكة بعروبتها لم تحتفل بالطوارئ وتقلبات العصر، وقد انشطرت شطرين، شطر عرف بـ آل (النويني) وشطر بقي على

نسبته آل (الغراوي) ومترجمنا هو من الشطر الأول، وقد عرف بالنويني نسبة إلى الشيخ مهدي والد مترجمنا إذا كان جهوري الصوت من الذاكرين يردد في قراءته وكان حسن الصوت، فعند قراءته كان (يأن) فأطلق عليه باللسان الشعبي (النويني) ونقل عن معاصري الشيخ مهدي أنه كان يقرأ في أيام الصيف على سطوح الدور فيسمع صوته في جميع محلات النجف الأربعة وتخترق نبرات الأسماع من أبعد الأماكن، فلهذا أصبح هذا اللقب عنواناً لهم فيما بعد .

ولد مترجمنا الشيخ عبود في يوم ٣ ذي القعدة من عام ١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م.

كان والده الشيخ مهدي، أحد خطباء عصره - بحق - إذ اتسم بالورع والتقوى والفضيلة، وقد أعقب الشيخ مهدي أولاداً عدة كلهم خطباء مجيدون لهم المكانة السامية، أولهم وأكبرهم سناً هو الشيخ صالح المتوفى سنة١٣٦١هـ والثاني وأوسطهم خطيبنا المترجم وثالث أصغرهم الخطيب الشيخ حسن.

أما أسرة مترجمنا، فقد تزوج الشيخ وأنجب ثلاثة عشر ولداً وخمسة بنات، وأكثر الأولاد اتجه الى الخطابة، وأشهرهم كان الشيخ هادي النويني.

نشأته العلمية والخطابية

نشأ مترجمنا، نشأة علمية بحتة، في أحضان والده، فبعد أن بلغ السنة الثاني عشر من عمره وبعد أن أتقن بعض المقدمات في العلوم الدينية على والده، أخذ بدراسة مقدمات العلوم عند فطاحل علماء زمانه منهم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ علي الشرقي والسيد الخطيب صالح الحلي والسيد عبد الغني الزاملي.

وفي فترة دراسته لهذه العلوم الدينية كان يدرس الخطابة على يدي والده الشيخ مهدي إذ حضر معه جميع مجالسه في النجف وخارجه فتلقى فنون الخطابة والفصاحة، إذ كانت لديه القابليات الجمة في حفظ القصائد الطويلة والأحاديث النبوية الشريفة وخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حتى أصبح قادراً على نظم الشعر القريض والعامي في آن واحد. فأما الأول فقد كان ينظمه في المناسبات فقط، وأما الثاني فإنه كان كثير النظم فيه.

صفاته

إلى جانب تفننه في الخطابة عرفت للشيخ صفات خلقية وخُلقية فقد كان رحمه الله طويل القامة أسمر اللون رقيق الشفتين ، طويل الوجه عيناه واسعتان وبراقتين ذات نظرة حادة تدل على ملامحه على أنه شخص كثير الثقة بنفسه وكثير الاطمئنان من قدرته، متواضع بعيد عن الغرور، ذو أخلاق عالية، إذ عرف بورعه وتقواه وهو أحد الأتقياء المعروفين من الخطباء. وقد عرف بابتعاده عن الصغائر والتوافه من الأمور، ولمس ذلك الناس والأفراد الذين أساءوا إليه، فحين يلتقونه لا يجدون في نفسه شيئاً من الغل مما حدث لهم إذ كان سريع العفو منهم.

وقد أشار الشيخ شاكر القرشي (حفظه الله) إلى بعض كلماته إذ يقول في حقه: (يرى أن النجاح والتفوق في الحياة لا يتم (بالحيلة والخداع) بل يكون النجاح بالعمل الجاد والتواضع، وأن يعمل على

خدمة المجتمع الـذي يعيش فيه وأن يقدم كل ما يملك من معلومات إلى هذا المجتمع لغرض الاسـتفادة منه وعـدم احتكار هذه المعلومات).

وأما في عمله اليومـي، فقد كان قوي العزيمة نشـيطاً، يقضي القسم الأكبر من ساعاته بالقراءة والمذاكرة.

آثـــاره

خلف الشـيخ﵀ آثاراً كثيرة في شـتى ميادين الحياة العلمية والاجتماعية، فقد كان مـن كثرة حفظه للشـعر وحب قراءته له، خلف ديواناً للشـعر العامي ونشـرت له بعـض المجاميع الشـعرية، إلا أنه ومع الأسـف الشديد فُقد هذا الديوان وأشعاره تلك ولم يسلم بيتاً واحداً منها، والظاهر أن فقدان هذا الديوان جاء في فترة الانتفاضة الشـعبانية التي حدثت فـي مدينة النجف الأشـرف عام ١٩٩١م وقام بقمعها الطاغية صدام، بعد دخول الجيش والمخابرات إلى تفتيش هذه المدينة المقدسة، وكذلك فقد كانت له مجموعـة في الأخلاق والمواعظ لم تسلم من ايدي العابثين بها أيضاً.

فضـلاً عن ذلك فقد احتـوى بيته على مكتبـة عامرة ضخمة تحـوي على كثير من الكتـب القيمـة والقديمـة والمخطوطات النادرة، لذلك تمتع بثقافة متنوعة وواسعة بالعلـوم الدينيـة والأدبيـة والتاريخيـة والفلسفية مستفيداً من توفر الكتب النادرة في مكتبته العامرة لديه.

أسلوبه في الخطابة

اتسـم الشيخ بأسـلوب جميل وجذاب في طرح المادة العلمية في مجلسه، واتخذ طريقة جديـدة في البحث العلمي في وقته آنـذاك فكان يفتتح كلامـه بآية قرآنية أو خطبة مـن خطب نهـج البلاغة، ثـم يبدأ بشرحها شرحاً وافياً علمياً متسلسلاً بأهم الآراء التاريخية أو الأدبية ثم يعرج على أهم مباحثهـا العلمية، فيخـرج لها صورة رائعة استوفت كل شرائط منهج البحث العلمي، ولذا فقد خرجت مدرسته فطاحل الخطباء إذ عُدَّ من شيوخ الخطابة وأساتذة الخطباء تخرج عليه جمع كثير من المبتدئين في وقته وأصبحوا بعـده من الخطباء المشـهورين حالياً، حتى أن بعضهـم أصبح من مقلديه بالصوت والصورة.

وفـــاته

بعد هـذه الخدمـة الجليلة فـي المنبر الحسـيني وبعد حكم الشيخوخة والمرض توفـي الشـيخ الجليـل﵀ ليلـة السـبت المصـادف ليلة السـادس والعشـرون من شـهر ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، وقـد رثـاه ولـده الخطيب الشـيخ هادي النويني﵀ في قصيدة منها:

رسمت شمس الضحى ظلي وقد
تركـته أثـــراً للمقلـــتين
فإذا العـــين توارت عنـــكم
فهو يبقى أثراً من بعد عين ■

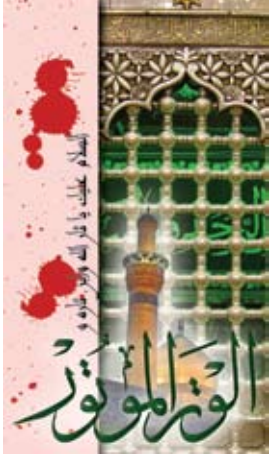

الارتقاء..
إلى المنبر الحسيني

هاشم حسين ناصر المحنك •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

ليس المنبر الحسيني أعواداً أو مكان محدد. بل هو أرقى وأعمق من ذلك، يحمل إنسانية العقيدة التي نادى بها وطبقها بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام متمثلة بقوله: (إما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق)، المستمد قوتها من الشريعة القرآنية والمرشد النبوي للهداية لها، والمتمثلة بفكر العقيدة وعقيدة الفكر، وبحضور العقول والقلوب.

وبهذا كان الحضور الحسيني، ونور منبره، الشاخص منذ الأزل، وامتداداً لمنبر النبوة مروراً بعصر الرسالة الإسلامية وحتى وقتنا الحاضر، ورغم كل الظروف والضغوطات والتضحيات، وما زال وسيبقى صوتاً للتنوير وتقويم الأجيال، بالفكر والعقيدة.

ومنطلقاً من هذا المنظور المقتضب، يمكن تحديد ما هو الأبرز، والإشارة إلى ثلاث نماذج ميدانية عاصرناها، واستعراضها إجمالاً يكون كما يلي:

١ـ منهج المرحوم المفكر الإسلامي السيد جواد شبر، والمتمثل منهجه بمحاور محاضراته وبأطروحات تفاسير الآيات القرآنية والخوض في مضامين الأحاديث

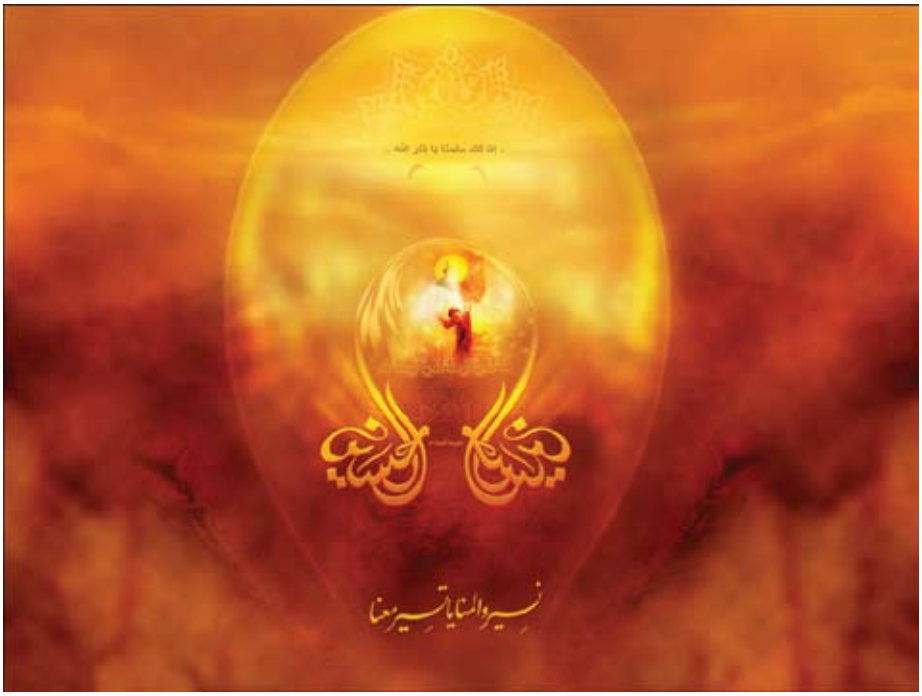

النبوية الشريفة وأقوال الأئمة الكرام عليهم السلام، والخوض في استقراء الآراء المتعددة، حتى يُشبع الموضوع بحثاً، وبشكل رائع يحقق إيصال المعلومة إلى أوسع شريحة من المجتمع، وخطوطه على العموم لا تخرج عن الإسلاميات، وهذا لا يعني أنه لا يطرح أفكاراً علمية، والهدف هو بناؤه للفكر العقائدي الواضح وغير المتعصب والمستوعب لكل الأطراف، وبكشف الحقائق وإلقاء الضوء على الوقائع التاريخية الرصينة، وبذلك من شأنه أن يخلق روح وبناء الوحدة الإسلامية ـ الإنسانية، ومجملها تصب في بودقة التضحية من أجل الإنسانية والقيم السلوكية الرفيعة للمجتمع الإسلامي، والمحققة لها هو تجسيد الصورة الواضحة لواقعة الطف، واقعة النهضة الحسينية السابقة بالفكر قبل السيف، والناطقة بالعقيدة قبل الأنا، والذائبة فيها كل القوميات، والمستويات العمرية، لتتمثل الإنسانية بكل ما تعنيه من الكلمة، نفسياً وسلوكياً وبأقوم الأفكار المقومة.

٢ـ منهج المرحوم الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، والمتمثل المنهج بمحاوره الاستقرائية واستحضار الواقعة وامتداداتها بأدوات علمية حديثة، تدعمها العلوم الحديثة، وبتطويعها، وليس إقحامها في خدمة النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة، فترى في خطبته يهتم بمعالجة الأمور بمنظور الدين والدنيا، وبشكل عام مراعياً لكل المستويات الثقافية والعلمية، وتطويع العلوم لخدمة النص. وفي هذا الجانب يتخطى الكثير من المتخصصين والعلماء في العلوم الحديثة، الذين قد

لا يتمكنوا من هذا الاستيعاب الإنساني المشبع بالموضوعية، رغم ما يحملوا من فكر حديث وعلوم حديثة ومتخصصة، لذا نرى قد يسرح صاحب الاختصاص بأمور عديدة، وقد تخونه الإمكانية للتقوقع على محدودية التخصص. لكننا نرى العلامة الشيخ الدكتور الوائلي، مدرسة وموسوعة في الثقافة والعلوم، حيث يعالج أمور الدين باستيعاب الفقه لكل العلوم، فلذا يشمل أمور الدنيا بتطويع النفس والسلوك بالوعي وفلسفة الأمور، ودعم الإنسان بكبح جماح النفس مع إعطاء التوازن والفسحة المناسبة لحقوق الإنسان الدنيوية (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) سورة الأعراف الآية٣٢، وبه يفتح المتنفس الشرعي وصمام الأمان، للسيطرة وحماية الإنسان من الانحراف والتعصب، لتطويع التعصب بحيث لا يكون إلا للحق وبالشكل المتوازن الحضاري، وبهذا يحقق الابتعاد عن تفريق الأمة وخلق الطائفية والتأزم النفسي لدى الأفراد وانعكاسه على السلوك الذي يتمناه ويخطط له عدو الإسلام والإنسانية، بل يوحد النفس المطمئنة في بحبوحة (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)، والبناء على أساس الوعي والعمل بحقيقة إن ما حرم الله سبحانه وتعالى هو لحماية الإنسان من المضار المحيطة به، وما حلله الله عز وجل هو يصب نتائجه في نفع الإنسان والإنسانية حينما يعمل بهداه، ومن خلال اجتناب المضار والعمل بالمنافع المحققة للسعادتين، الدنيوية والأخروية، وبهذا المنهج كان الشيخ الوائلي يستقطب كل المذاهب والعقيدة الإنسانية، وبكل الأبعاد المنظورة وغير المنظورة، وبالعمق الاستراتيجي وبديناميكية الكلمة، ضمن محور الحق وسلامة الدين والمسلمين.

٣ ـ المنهج الآخر المتمثل بالمرحوم الخطيب السيد جابر أغائي، الذي يحاكي بطريقته الخاصة وباستقلالية، كلٌ من منهج السيد شبر والشيخ الوائلي رحمهما الله وجميع المرتقين إلى طريق المنبر الحسيني الإنساني المبارك، التي تجمع المدرسة والجامعة الكبرى الشاملة والمشرع أبوابها لكل الإنسانية، الذي ينهل منها المسلم بكل طوائفه وقومياته ومذاهبه، وغير المسلم من الديانات الأخرى، وحتى من لا صلة له بالدين، وما أقوال القادة ومنهم غاندي وماو، والأدباء والشعراء والمثقفون بكل طروحاتهم، إلا الدليل الواضح على عالمية هذه الجامعة، وأرضية الارتقاء إلى المنبر الحسيني.

وترى في محاضرات المرحوم السيد أغائي، يجمع بين الدين والفكر الموسوعي للعلوم بما فيه الكيمياء والفيزياء والطب والفلك. بشكل مختلف ولا يخالف منهجه لمدارس من يجمعهم خدمة الدين الإسلامي وبشكل عام الفكر الإنساني ووحدته، ففي استقراء محاضراته التي طالما تشرفت بحضورها إلى جانب محاضرات علمائنا وأعلامنا الأفذاذ الأجلاء، منذ الستينات وحتى وقتنا الحاضر، رغم تفاوت حرية كل حقبة تاريخية محددة وضغوطاتها. نراه يتحدث فيها عن القديم والحديث ومنتهلاً من الفكر الإسلامي وطروحاته المواكبة لكل تطور، بالإضافة إلى ما سبق ذكره.

وهناك أفذاذ في خدمة الفكر الإسلامي، وسبيلهم المنبر الحسيني، وما هؤلاء الكرام إلا صور لمناهج ضمن

المدرسة الهادفة للارتقاء إلى المنبر الحسيني الذي يصب في خدمة الإسلام والمسلمين، وهناك مناهج أخرى متكاملة مع السابق الذكر، لا يسع ذكرها، والتي ترتقي لتطويع ما هو مستحدث من الفكر، للفضاء الواسع للفكر العقائدي الذي يجمع كل المسلمين والإنسانية للتعايش بالمحبة والسلام.

وعموماً نرى في مناهج المحاضرات السالفة الذكر الأمور التالية:

١- محاضرات تبدأ بذكر الإمام الحسين عليه السلام ومصيبته العظيمة، ثم تأخذ بنور آية قرآنية كريمة لتفسيرها أو الاهتداء بخطاها، ومعالجة أمر معين يتضمن التوعية الشاملة، وتقويم أمور الحياة ومسكها ذكر أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم والتعرج إلى ذكر الحسين عليه السلام.

٢- محاضرات تبدأ بذكر الحسين عليه السلام، وآية قرآنية مباركة، ثم استذكار في ضوء هذه الآية لأمور دنيوية وأخروية، بما فيها التحليلات العلمية وبما جادت به العلوم الحديثة.

٣- في بعض المحاضرات تتضمن نهايتها مجموعة أسئلة في أمور الدين والدنيا، توجه من الحضور، والإجابة عليها من المحاضر، وهو ما أخذ به الشيخ الدكتور الوائلي رحمه الله.

٤- جميع الخطباء، إن لم يشتركوا في الشهادة الأكاديمية، فقد اشتركوا بالشهادة الأعقد منها، ألا وهي الشهادة الحوزوية.

٥- جميع الخطباء عرفوا أن القاعدة المعلوماتية، المتمثلة بالتوسع في الإطلاعات الموسوعية الفكرية والعقائدية، هي السبيل لمواكبة كل جديد في التطور والنمو في البحث العلمي.

٦- الخطباء عرفوا بأن البنى التحتية للمعلومات ورصانتها تبدأ من الانفتاح على كل الاتجاهات العمومية والأفقية، وأقصد بها الانفتاح على المذهب في الدين الواحد الإسلامي، والانفتاح على بقية الأديان السماوية. لذا كان البناء الفكري والتحليل العلمي، مبني على أساس التحليل الموضوعي، والابتعاد عن التعصب الذي يدمر الفكر الإنساني.

٧- عرف الخطباء أن حاجة الموقف هي المحدد لما خطط للمحاضرة الرصينة، سواء كانت المبسطة أو المعقدة لمحاكاة واستيعاب كل المستويات، وهو ما يجعل القدرة والرغبة لكلا الطرفين، الخطيب أو المحاضر والمستمع أو المتعلم، ليكون هناك انسيابية في تقبل الاستعراض الفكري والعقائدي ■

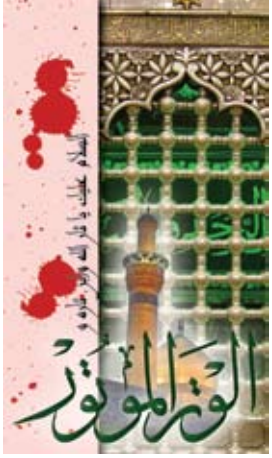

تخميس
عينية الشيخ صالح الكواز

السيد مرتضى السندي •
الحوزة العلمية الزينبية

يـا وارث المجـد مـن عليـا أرومتـه وحافـظ الديـن مـن سـيال مهجتـه
ويـا شـهيداً فجعنـا فـي رزيتـه
بـكاك آدم حزنـاً يـوم توبتـه وكنـت نـوراً بسـاق العرش قـد طبعا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

أبكيتـه والأسـى كالأرجـوان هتـن والعـرش شـاطره بالنـوح زاد شـجن
والكـون ينـدب والـروح الأميـن حـزن
ونـوح أبكيتـه شـجواً وقـل بـأن يبكـي بدمـع حكـى طوفانـه جزعـا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

لهفـي عليـك تعاني في الوغـى حرقا ومـن جراحـك فيـض الحق قـد عبقا
وللجـواد لعظـم الخطـب معتنقـا
كأن جسـمك موسـى مذ هوى صعقا وأن رأسـك روح اللـه مـذ رفعـا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

أخلدت لـلأرض ترويها رحيق هدى للأنبيـاء بهـا أصبحـت رجـع صـدى
بعثـت فـي الديـن روح اللـه مجتهـدا
ولـو رآك بـأرض الطـف منفـردا عيسـى لمـا اختـار أن ينجـو ويرتفعا

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

باب القبلة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام
صورة تعود إلى أواسط القرن الماضي

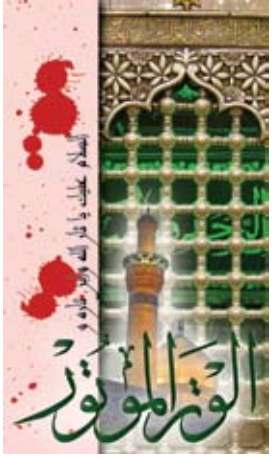

أحب اللّٰه من أحب حسيناً

وجدان الغانمي •
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع

الإمام الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن ما ذكره مؤمن إلا استعبر هذه العبرة التي منحت دين اللّٰه امتداداً مصبوغاً بلون الخلود لتتحقق المقولة الخالدة (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء) وحسبي هنا قول الشاعر:

قرآن ذكرك فيه يفتتح الفم
حمداً وبالإخلاص ذكرك يختم
أنت الحسين ودون مجدك في العلى
مجد المسيح ودون أمك مريم

شاء رب الكون أن تكون دماء الحسين عليه السلام محور مصيبة هي أعظم مصائب التاريخ بل أعظمها على الإطلاق كونها تختلف عن جنس المصائب التي يعرفها بنو البشر التي تكون كبيرة في أول وقتها ثم لا تلبث أن تهون عن صاحبها شيئاً فشيئاً حتى تضمحل وتنسى...

إن مصيبة الإمام الحسين عليه السلام هي الوحيدة من بين جميع المصائب التي احتفظت بحرارتها وحيويتها بل اتسعت لتشمل كل بقاع الأرض محولة كل أرض إلى كربلاء وكل يوم إلى عاشوراء ولتبقى حناجر أهل الولاء للنبي وآله تردد أبداً:

أنست رزيتكم رزايانا التي
سلفت وهونت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام تبقى مدة
وتزول وهي إلى القيامة باقية

مصيبة الإمام الحسين عليه السلام هي الأكبر والأعظم والأفجع وهي المنبع الرائق الذي

يغترف منه الأحرار على مر الليالي والأيام.. تتلاشى وتتصاغر عندها كل رزايا أهل الأرض على الإطلاق.

مراحل حياة الإمام الحسين عليه السلام

يمكن تقسيم العمر المبارك لسيد الشهداء عليه السلام إلى أربع مراحل رئيسة تبدأ أولاها بولادة الإمام عليه السلام وتنتهي برحيل جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن دار الدنيا لتبدأ مرحلة ثانية قضاها مع أبيه المرتضى في خضم الأحداث التي أعقبت رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما حدث من انقلاب السقيفة وما تبعه من تنحية الأمير عليه السلام عن موقعه الشرعي في الخلافة ردحاً طويلاً من الزمن وبمصرع علي في محراب الصلاة بمسجد الكوفة تنتهي المرحلة الثانية لتبدأ بعدها مرحلة ثالثة هي أقصر مرحلة في حياته عليه السلام في ظل إمامة أخيه السبط المجتبى والتي لم تدم سوى سبعة أشهر وهنا يمارس الإمام الحسين عليه السلام دوره في الإمامة هذا الدور الذي ابتدأ برحيل الحسن المجتبى مسموماً وانتهى بواقعة كربلاء الدامية حيث الحسين صريعاً على رمضاء كربلاء وعياله تسبى من بلد إلى بلد.

مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

حمل الحسين بين ناظريه مستويات راقية من الحفاوة منذ صغر سنة فقد كان أحد الأربعة الذين جعل النبي بأمر من السماء مودتهم أجرا على الرسالة في قوله تعالى (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وقد أكدت مصادر التاريخ كما في سنن أبي داود والترمذي إن القربى الذين ذكرتهم الآية هم علي و فاطمة وابناهما، وقد عاش الحسين مع جده صلى الله عليه وآله وسلم طفولة حافلة انعكست على صفحاتها توسمات النبي بابنه الوليد وما تخبئ الأيام له من المحن التي أبكت عيون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أول ولادة الحسين السبط عليه السلام.

ولد الحسين عليه السلام في أحضان سيدة النساء فاطمة عليها السلام مطهراً من كل دنس ليكون ثاني ثمار الاقتران المقدس بين علي وبين الصديقة الطاهرة عليها السلام ولينعم بالدفء في أحضان المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فلقد ولدت مطهراً في بردة
من برد فاطمة تحاك وتحلم
وجبينك الوضاء فرقان الهدى
بدم الشهادة والكرامة أعظم

نقل صاحب كتاب مجمع الزوائد وهو من المصادر المعتمدة عند الجمهور في الجزء التاسع عن عائشة أنها قالت (كان عندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الحسين بن علي عليهما السلام على الرسول وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه فنزى الحسين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال جبرائيل: أتحبه يا محمد؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ومالي

لا أحب ابني؟ فقال جبرائيل فإن أمتك ستقتله بعدك. ثم مد جبرائيل يده وأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه الأرض يقتل ولدك هذا واسمها الطف فلما ذهب جبرائيل من عند رسول الله كانت التربة بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبرائيل أخبرني بأن حسيناً مقتول في أرض الطف وأن أمتي ستفتن بعدي ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وفيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فبادروه قائلين: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أخبرني جبرائيل أن ابني الحسين يقتل بعدي وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه). ثم تحول قبر الحسين عليه السلام إلى قبلة يؤمها الأحرار وملاذ يؤوي إليه المؤمنون لينهلوا منه العزيمة والصبر ومما لا شك فيه أن حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام إنما هو نابع من معرفة النبي بمكانة الحسين والدور الذي سيتحمله من تقديمه للغالي حتى بنفسه من أجل دين الله وأمة جده التي طالما عاث يزيد فيها خراباً حتى أنكر الوحي والإسلام بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل

وكان بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نوع آخر لا ضعف فيه ولا انهزام فيه بل كان تهيأة لبيان أبعاد نهضة السبط الشهيد. ثم أنه أخطأ كثيرا من قال إن النبي قد استفاد من وجود الإمام الحسين عليه السلام ليسد الفراغ الموجود عنده بفقد الأولاد لأن هذا الادعاء فيه إساءة كبيرة جداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد المرسلين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والذي وصفه القرآن بأنه على خلق عظيم. وقد أستغل النبي كثيرا من المناسبات ليبين للأمة عظمة الحسين ليفهم الخلق إن الحسين من نفس تركيبتي ومعدني وجوهره نفس جوهري فقد نشأ الحسين ونهل من نمير النبوة فصار مثالاً للخير والعظمة والإصلاح والمجد كونه خريج تلك المدرسة المثالية ومن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

مع أبيه المرتضى عليه السلام

ابتدأت هذه المرحلة بحدث غيّر مسار التاريخ وصفع كيان الأمة، ذلك هو إقصاء أبيه عليه السلام عن موقعه الشرعي في الخلافة ثم شهادة الصديقة الطاهرة نتيجة الاعتداء على البيت النبوي وهي في ريعان شبابها وقد أدرك الحسين عليه السلام أن الأمويين كانوا وراء مقتل الخليفتين الثاني والثالث ذلك أن معاوية كان يتربص بعثمان الدوائر ليقتله ويتذرع بقميصه ليتهم الإمام علي عليه السلام بقتله رغم أن وساطة الإمام الإيجابية كانت واضحة جداً بين الثوار وعثمان وانتهت تلك المرحلة بإعادة الخلافة إلى الإمام فقبلها كارهاً له وقد واكب الحسين عليه السلام أباه حتى قتله على يد بن ملجم قائلاً والسيف بعلو هامته (فزت ورب الكعبة).

مع أخيه المجتبى عليه السلام

لاشك أن صلح الحسن عليه السلام إنما كان عملية تمهيد لثورة الحسين عليه السلام والأمر لا يعدو أن يكون تقاسماً للأدوار وكان الحسين عليه السلام يدرك ذلك ويطيع إمام زمانه وهو أخوه، لأننا لا نشترط في طاعة الإمام أن يكون مبسوط اليد بل نعتبره إماماً مفترض الطاعة سواء مارس الحكم أم لم يمارسه. وعموماً واكب الإمام الحسين عليه السلام تلك الأحداث التي كان الإمام الحسن عليه السلام يأمر المؤمنين فيها بالعمل السري الجاد ليمهد للثورة الحسينية حتى قضى مسموماً على يد جعدة التي أغراها

معاوية بن أبي سفيان بذلك وبرحيل الإمام الحسن عليه السلام ابتدأت المرحلة الرابعة في حياة الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام وأعباء الإمامة

عاش الحسين عليه السلام في هذه الفترة وسط جو من التطويق الأموي وقد أعلن سخطه على جميع الأصعدة حول تردي الأمور خاصة على الصعيد الإعلامي وبلغ الرفض ذروته عند هلاك معاوية ومآل الأمور ليزيد الذي انتزع أبوه له البيعة تحت ضلال السيوف...؟ وقد ازدادت الأوضاع سوءاً وتفشى الفساد والعبث إلى حد لا يحتمل مطلقاً حتى كادت الأمة أن تضيع بفعل الفاسقين وقد انتهى مسار الاجتماع الذي قاده الحسين عليه السلام بثورة عامة اختزلت تضحيات التاريخ في عاشوراء حيث يقدم كل ما يملك من أجل الإصلاح في أمة جده وكان لابد من الخروج لثورة تهز الدنيا وتدك فراعنة الزمان وقد مهد لهذه الثورة من قبل لأن الأحداث بدأت تنحى منحى أخر خطير جداً ولسان حال الإسلام يقول:

لم ادر أين رجال المسلمين مضوا
وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره
ومن خساسة طبع يعصر الودكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفا
إلا إذا دمه في كربلا سفكا

نعم خرج المقدام الهمام الإمام وثار حتى سفك دمه صريعاً لتهتز له السماوات والأرض كما قال الإمام السجاد (أنا ابن من ناحت عليه وحوش الفلا وبكته الطيور في الهوا) وا لهفاه عليك أبا عبد الله وأنت تلاقي أعداء أقسى من وحوش الفلا جيشاً من الممسوخين وليتهم اكتفوا بقتلك سيدي بل انتدبوا لك حوافر الخيول لكن صداك أخرس ألسنتهم إلى الأبد فأين هم من قبة ناطحت السماء علواً..

تعاليت من مفزع للحتوف
وبورك قبرك من مفزع
تلوذ الدهور فمن سجد
علي جانبيه ومن ركع

فسلام عليك يا من ستبقى كربلاؤك حديث أسحارنا أبا الشهداء ونبراس القيم ومجد التاريخ وعلى كل من خطى خطاك من أحرار أفذاذ لا تأخذهم في الله لومة لائم مهما استبد الدهر وعصفت الأيام ■

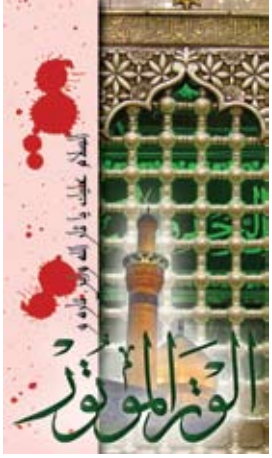

أحاديث أبي الفضل العباس عليه السلام

دراسة لغوية أسلوبية

د. عبد الإله العرداوي ●
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

إن تاريخ البشرية مليء بالأحداث والتطورات المتتالية، ولو تصفحناه وبحثنا في طياته عن القدوات الإنسانية والعظماء، لجذبتنا صحائف تفوح منها رائحة المسك، وتهلّ علينا نسائم طيب العنبر.

ومن هذه القدوات الإنسانية، شخصية سجل التاريخ مسيرتها بأحرف من الأنوار الإلهية، والإشرافات الربانية، سعت في دنياها إلى سلوك الطريق نحو الكمال الإنساني، وجلّ حسن الصفات ما لم ترضخ إلاّ للواحد الأحد، ولم تنكس رأسها إلاّ خضوعاً وخشوعاً للفرد الصمد، فرفعها ربها إلى عليين، وأقعدها في مقعد صدق مع أنبيائه وأصفيائه.

تلك الشخصية العظيمة هي شخصية أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

الحديث الفني: لغة واصطلاحاً:

لم تشتمل المعاجم اللغوية (كتاب العين، ولسان العرب، والقاموس المحيط والصحاح) على المعنى اللغوي لهذا النوع الأدبي بصيغته المركبة (الحديث الفني) لحداثة تسمية هذا النوع[1].

والحديث كل ما يتحدث به الإنسان أو يقوله[2] وقد تحولت المفردة (الحديث)

الى مصطلح، ولذلك قيل: إن (مصطلح الحديث دائر بين البلاغيين والنقاد)[٣] وقد أفرد له ابن وهب الكاتب في أحد كتبه مبتدئاً بتعريفه: (وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطباتهم ومجالسه، وأما وجوهه: فمنها الجد والهزل، والسخيف والجزل، والحسن والقبيح، والملحون والفصيح، والخطأ والصواب)[٤].

ومعلوم أن الحديث الذي لا يتوافر على عناصر فنية معينة، غالباً ما يعتمد في بيان حقيقة أو مسألة أو مفهوم ما، أي أن اللغة التي يتحدثها المتحدث في حديثه هي لغة تقريرية إخبارية، بعيدة عن الخيال والتصوير، كما هو الحال اللغة العلمية الجافة التي هي لغة العلوم والمعارف ولغة الأحاديث الفقهية، ولاسيما التي تتناول معاملات المسلم وعباداته كما هو في معظم أحاديث الناس، وغير ذلك[٥].

بيد أن الحديث ـ الذي نحن بصدده ـ لا يعتمد المباشرة أو التقريرية في صياغته، لأنه عموماً يتطلب نوعاً من التأمل، فهو يحمل قدراً من الضبابية الشفافة، أو ما يسمى بالغموض الفني في الأدب (الذي يؤدي ما يعرف بتعدد القراءات للنص الواحد فوجوده وجود مؤثر وغني وفاعل)[٦] فضلاً عن أن إشراك المتلقي في كشف دلالة الأحاديث التي تحمل تلك الصفة، يحقق له جسراً من التوصيل ومزيداً من الأمتاعين الدلالي والجمالي[٧].

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نقرر بوضوح أن الحديث الفني هو: (الحديث المختصر الذي يقدم في مناسبات

مختلفة، ويكتفي فيه أحياناً بعدد قليل من المستمعين، ويوظف فيه سمات فنية، وأدوات جمالية لتعميق دلالة المراد توصيله إلى المتلقي)[٨] وهو: توصيات عامة قصيرة، ترد مستقلة أو قد ترد ضمن نوع أدبي معين، وتوشح عادة بعنصر الصورة أو بعنصر الإيقاع أو بكليهما معاً[٩].

وقد اهتم العباس عليه السلام بهذا النوع الذي تكفل ببيان عدد كبير من الظواهر العبادية والإنسانية والسياسية من خلال العبارات القصيرة الدالة والقادرة على النفاذ إلى ذهن المتلقي.

الحديث الفني اللغة والأسلوب:

الاستفهام:

ونلحظ وروده في الأحاديث الفنية كما في قوله عليه السلام: (أليس لي اتصال برسول الله)[١٠].

فالاستفهام الوارد هنا لا يحتاج إلى جواب، لأنه يقرر فكرة ويحمل المخاطب على الاعتراف بها، وبمعنى آخر: أن جواب السؤال ثابت في المنظومة المعرفية للطرفين، فجواب السؤال غير منكور لكلا الطرفين، ومن ثم فلا استجلاب للفهم فيه، وليس فيه محاولة لملء الفراغ المعرفي الذي يسعى الاستفهام إليه في حقيقته[١١].

ونظيره قوله عليه السلام: (أبمثلي يلقى إليه الخدع والمحال)[١٢] وقوله عليه السلام: (أتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم)[١٣].

وقد يخرج الاستفهام حاملاً أغراضاً مجازية كثيرة، كالتوبيخ في قوله عليه السلام: (أتؤمننا وأبن رسول الله لا أمان له)[١٤] ونظيره قوله عليه السلام: (أتأمرنا أن نترك أخانا)[١٥] فالاستفهامات الواردة أفادت معنى التوبيخ الذي يعني الحط من قدر المخاطب لأنه أما أن يكون كاذباً أو مدعياً أو ذليلاً[١٦].

أو يخرج إلى معنى التحقير والحط من شأن المخاطب، كما في قوله عليه السلام: (يا قوم أ أنتم كفرة أم مسلمون)[١٧] والتحقير يعني (تصغير شأن المخاطب والاستخفاف به والحط من منزلته)[١٨] أو يخرج لمعنى التعجب كما في قوله عليه السلام: (وكيف لا أبكي)[١٩] وكذلك قوله عليه السلام: (أبالموت تخوفني)[٢٠] فالاستفهامات الواردة في هذه الخطابات أفادت معنى التعجب الذي يعني (تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وإشكاله[٢١] ومن ثم نرى العباس عليه السلام يستعظم أو ينبهر به أو يستغربه.

أو يأتي الاستفهام حاملاً معنى التحسر والألم لفقدان الأحبة، كقوله عليه السلام وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: (من يرفع رأسك عن التراب)[٢٢] وقوله عليه السلام: (ومن يمسح التراب عن وجهك)[٢٣].

النداء:

من الأساليب التي استعملها العباس عليه السلام في أحاديثه الفنية، وأغلبه ـ أسلوب النداء ـ قد خرج إلى معان حقيقية، إذ كان المقصد منه لفت نظر المنادى وتنبيهه على الأمر الذي يلي النداء من خبر أو أمر أو نهي أو استفهام، كقوله عليه السلام: (أتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم)[٢٤] وقوله عليه السلام: (وأنا يا عدو الله وعدو رسوله فمعود للقاء الأبطال)[٢٥] وقوله عليه السلام: (ولكن يا شمر أقبل أنت نصيحتي)[٢٦] لكن النداء قد خرج إلى معان مجازية في قوله عليه السلام: (يا بني فلاح أنا ابن أختكم أم عاصم الكلابية وانا عطشان)[٢٧] الذي أفاد معنى التوبيخ.

أو يفيد معنى التحسر والألم في قوله عليه السلام: (يا أخي يا نور عيني وكيف لا أبكي)[٢٧]، وقد ورد النداء من دون ذكر أو أنه مما يوحي أن العباس عليه السلام أراد بحذف أداة النداء أن يمحي الفواصل الزمانية والمكانية بينه وبين المنادي ولاسيما إذا كان المنادى شخصاً قريباً منه جداً، وهي عقيلة الهاشميين زينب عليها السلام: (أختيّة زينب أمثلي توصين)[٢٩].

الأمر:

وقد ورد في نماذج كثيرة، أغلبها خرج فيها إلى معان مجازية كما في قوله عليه السلام: وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام وبه رمق: (دعني في مكاني فأني مستح من أبنتك سكينة)[٣٠] فالأمر هنا أفاد معنى التحسر والألم من خلال هذه المشاعر الإنسانية الرقيقة النابضة بالحياة التي تبرز عمق العلاقة والنسبية بين البنت والعم والأخ مع أخيه، فضلاً عن جوهرها الروحي المشبع بالإيمان الراسخ.

أو يخرج الأمر إلى معنى النصح والإرشاد، وذلك في قوله عليه السلام وهو يخاطب الشمر: (أقبل نصيحتي، أترك هؤلاء القوم اللئام وأنصر ابن فاطمة)[٣١] فالأوامر (أقبل، أترك، انصر) قد وردت بصيغة الأمر وهي تحمل هذه الدلالة المجازية ـ النصح والإرشاد ـ.

ومن دلالة النصح والإرشاد قوله عليه السلام وهو يخاطب المارد بن صديف: (فخذ في الجد، وأصرف عنك الهزل)[٣٢].

أو يحمل التوبيخ، كقوله عليه السلام وهو يخاطبه أيضاً: (فأصرف عنك ما أملته)[٣٣].

النهي:

وقد ورد في موضع واحد وبصيغته الحقيقية، وذلك في قوله عليه السلام وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: (لا والله لا تخليك أبداً)[٣٤].

النفي:

وفيه يتوسل بأدواته المتعددة لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، ومنها (لا) التي تفيد نفي الحاضر نفياً عاماً في قوله عليه السلام: (وكيف لا أبكي ومثلك الآن جئتني)[٣٥] وتفيد نفي الحاضر والمستقبل في قوله عليه السلام: (فلا يخاف ممن يبرز إليه)[٣٦] وقوله عليه السلام: (ولا يخاف من ضرب الحسام)[٣٧] وقوله عليه السلام: (لا أعجز عن مبارزة الأقران)[٣٨] أو يفيد النفي بها الاستمرارية في الزمن، أي نفي الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك في قوله عليه السلام: (ولا خالفت رسول الله فيما أمر)[٣٩] فهو عليه السلام لم يخالف أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الأزمنة.

أو يكون النفي بها للجنس كما في قوله عليه السلام: (وابن رسول الله لا أمان له)[٤٠] ومن أدوات النفي (ما) التي وردت في قوله عليه السلام: (وما أشركت بالله لمحة بصر) وقوله عليه السلام: (فما أنا ممن يأس على الحياة)[٤٢].

الشرط:

من الأساليب التي استعملها العباس عليه السلام لدواع دلالية جمالية، ومن أدوات الشرط التي استعملها (لما) التي شكلت وجودية الصورة فبها خلقت صورة الجواب ـ أن صحّ لنا أن نفصل صورة الشرط الكاملة ـ لوجود صورة فعل الشرط وذلك في قوله عليه السلام: وهو يخاطب العقيلة زينب عليها السلام: (فلما سمع منها ذلك تمطى ركابه)[٤٣] فوجود صورة الجواب ـ تمطى ركابه ـ مقترنة بوجود صورة الشرط ـ سمع منها ذلك ـ.

ومن أدوات الشرط (من) التي شكلت

مرجعية العاقل في مواجهة صورة الواقع التي رسمها العباس عليه السلام من خلال تعانق صورة فعل الشرط وصورة جوابه، كما في قوله عليه السلام: (فمن كملت هذه الأوصاف فيه فلا يخاف ممن برز إليه)[٤٤] وقوله عليه السلام: (من كان من هذه الشجرة فلا يدخل تحت الذمام)[٤٥].

ومنها (إذا) وأحسبها تعليق صورة الجواب ـ إن صحّ لنا أن نفصل صورة الشرط الكاملة ـ على صورة فعل الشرط، وذلك لأن الشرط ممكن الوقوع[٤٦] وذلك في قوله عليه السلام: (إذا قصد صار أرضاً بواراً)[٤٧].

ومنها (إن) التي تستعمل في الشرط الذي يندر وقوعه[٤٨] كقوله عليه السلام: (فإن رآني أصحابك وأنا مقتول فلربما يقلّ عزمهم)[٤٩].

ومنها (لو) التي يبدو فعل الشرط وجوابه فيها غير ممتنع الوقوع متحقق في الواقع قولاً وفعلاً[٥٠] وذلك في قوله عليه السلام وهو يخاطب الأعداء: (يا أعداء الله ورسوله لو كان معنا نصفكم لقتلناكم جميعاً)[٥١].

التوكيد:

أسلوب من الأساليب التي لجأ إليها العباس عليه السلام في أحاديثه الفنية لإيضاح مضامينه الدلالية، فضلاً عن زيادة حدة الخطاب التوصيلي، ويستعمل العباس عليه السلام التوكيد بطرائقه المتعددة التي منها: التوكيد بـ(إنّ) مع أسمها وخبرها والتي تفيد توكيد مضمون الجملة وتحقيقه[٥٢] وذلك في قوله عليه السلام: (إنني أرجو الله تعالى أن أقتلك برمحك)[٥٣].

ومنها (أنّ) مع أسمها وخبرها والتي تفيد أيضاً توكيد مضمون الجملة وتحقيقه[٥٤] كما في قوله عليه السلام: (غير أنيّ أرى جعلك في مناخ)[٥٥].

ومنها التوكيد بأسلوب القصر (النفي وإلاّ) الذي يفيد تخصيص الحكم بشيء وقصر عليه، ويكون هذا التوكيد في الشيء الشديد الإنكار، كما في قوله عليه السلام: (ما أراك إلاّ أتيت بجميل[٥٦]) وقوله عليه السلام أيضاً: (ولا نطقت إلاّ بتفصيل)[٥٧].

ومنها التوكيد بالقسم كقوله عليه السلام: (والله لأرينك شيئاً)[٥٨].

ومنها التوكيد بـ(قد) مع الفعل الماضي بما يفيد التحقيق، وذلك في قوله عليه السلام: (فإني مستح من ابنتك سكينة وقد وعدتها)[٥٩] وقوله عليه السلام: (قد ضاق صدري وسئمت من الحياة)[٦٠].

ومنها التوكيد بضمير الفصل، وذلك في قوله عليه السلام: (فما أنا ممن يأسى على الحياة)[٦١] ومنها (لكن) التي تفيد توكيد مضمون الجملة، كما في قوله عليه السلام: (لكن يا شمر أقبل أنت نصيحتي)[٦٢].

ومنها (نون التوكيد) الخفيفة أو الثقيلة، وقد أورد عليه السلام التوكيد بالنون الثقيلة فقط، بما يشعر بضخامة الحدث وثقله، ومن ثم الحاجة إلى توكيده بالنون الثقيلة، كما في قوله عليه السلام: (والله لأرينكي ما تسرين به)[٦٣] وقوله عليه السلام: (والله لأرينك شيئاً)[٦٤].

ومنها التوكيد ببعض الألفاظ، مثل (أبداً) في قوله عليه السلام: (لا نفارقك أبداً)[٦٥] وقوله عليه السلام: (لا نخليك أبداً)[٦٦].

التقديم والتأخير:

من الظواهر الأسلوبية التي أستعملها العباس عليه السلام في أحاديثه الفنية، ومنه قوله عليه السلام وهو يخاطب الإمام الحسين عليه السلام: (فإن رآني أصحابك وأنا مقتول فلربما يقلّ عزمهم)[٦٧] فهنا قدم المفعول به (ياء المتكلم) على الفاعل (أصحابك)

للعنايــة والاهتمام بالمتقــدم، إذا المراد بالأهميــة رؤيــة العبــاس عليه السلام فمقتلــه قد يهزهــم، ويقلــل عزمهم ومنــه قوله عليه السلام: (وإليه بالحســرة ناظــرون)[٦٨] الذي قدم فيه الخبر شــبه الجملة (إليه) على المبتدأ (ناظرون) لأنه محل الاهتمام والعناية، إذ أن المقصــود بالأهمية هو الماء والحاجة إليه، وليس النظر إلى مكانة.

الأحاديث الفنية للعباس عليه السلام

١ـ قصــة العبــاس عليه السلام مــع المــارد بن صديف التغلبي:

فلما ســمع العباس عليه السلام كلامه ـ المارد ـ قال لــه: (مــا أراك إلاّ أتيــت بجميل، ولا نطقــت إلاّ بتفضيل، غيــر أني أرى جعلك فــي مناخ تــذروه الرياح، أو فــي الصخر الأطمــس، لا تقبلــه الأنفــس، وكلامــك كالســراب يلــوح، وإذا قصد صــار أرضاً بــواراً والــذي أصلتــه أن استســلم إليك، فذاك بعيد الوصول صعب الحصول، وأنا يا عــدو الله وعدو رســوله. فمعــود للقاء الابطال، والصبر علــى البلاء في النزال، ومكافحة الفرسان، وبالله المستعان، فمن كملت هذه الأوصــاف فيه فلا يخاف ممن برز إليك، ويلك، أليس لي اتصال برسول الله؟ وأنا غصن متصل بشــجرته، وتحفة من نور جوهرة، ومنا كان من هذه الشجرة فــلا يدخل تحــت الذمــام، ولا يخاف من ضرب الحســام، فا أنا أبــن علي لا أعجز عــن مبارزة الأقــران، وما أشــركت بالله لمحة بصر، ولا خالفت رســول الله فيما أمر، وأنا منه والورقة من الشــجرة، وعلى الأصول تثبــت الفروع، فأنصرف عنك ما أملته، فما أنا ممن يأســى على الحياة، ولا يجزع من الوفاة، فخذ في الجد، وأصرف عنك الهزل، فكم من صغير خير من شيخ كبير عنــد الله تعالى، فشــرع العباس عليه السلام الرمح للمــارد فصاح به: (يا عدو الله أنني

أرجو من الله تعالى أن أقتلك برمحك) وقوله عليه السلام للمارد بعد أن طلب منه الرفق: (ويلك، أبمثلي يلقى إليه الخدع والمحال؟ ما أصنع بأسير وقد قرب المسير).

التخريج/ نور العين: ٣٩، وأسرار الشهادة: ٤٩٩/٢ ـ ٥٠٢، وتذكرة الشهداء: ٣٢٢ ـ ٢٢٤ باختلاف يسير، والكبريت الأحمر: ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٦ باختلاف يسير.

٢ـ دعا الإمام علي عليه السلام العباس عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره، وقال له (قل واحد، فقال: واحد، فقال: قل اثنان، فامتنع، وقال: أنا استحيي أن أقول اثنين بلسان قلب به واحداً).

التخريج / مستدرك الوسائل: ٢١٥/١٥ ومقتل الحسين (الخوارزمي): ١٧٩/١.

٣ـ قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام وبه رمق: (بحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعني في مكاني هذا، فأني مستح من أبنتك سكينة، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني: أنا كبش كتيبتك، ومجمع عدوك، فأن رآني أصحابك وأنا مقتول فلربما يقلّ عزمهم، ويذل صبرهم).

التخريج: أسرار الشهادة: ٥٠٤/٢ نقلاً عن معالي السبطين: ٤٤٢/١ ـ ٤٤٣.

٤ـ عرض الأمان على أولاد أم البنين ورفضهم الشديد لذلك:

قال العباس عليه السلام للشمر: (لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وأبن رسول الله لا أمان له).

التخريج/ تاريخ الطبري: ٤١٦/٣، والكامل: ٨٤/٣، وتذكرة الخواص: ١٤٢، وإعلام الورى: ١٢٠، ومقتل الحسين (المقرم): ١٧٦، والصمصام الزخار: ٥٢٤/١.

وفي إرشاد المفيد جاء: فخرج إليه جعفر والعباس وعبد الله وعثمان بنو علي عليه السلام فقالوا: (ما تريد؟) فقال: (أنتم يا بني أختي آمنون) فقالوا له: (لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وأبن رسول الله لا امان له، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء).

التخريج/ ترجمة المفيد: ٩١/٢، وينظر: أسرار الشهادة: ١٣٨، ومثر الأحزان: ٢٨ وتذكرة الشهداء: ٣٠٤، وفرسان الهيجاء: ٢٥٨ـ ٢٥٩، ومقتل الحسين (المقرم): ١٧٦ وفي رواية أخرى: فناداه العباس عليه السلام: (تبت يداك وبئس ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء).

التخريج/ نفس المهموم: ٢٠٢ ومنتخب التواريخ: ٢٥٨، واللهوف: ٣٧، ومعالي السبطين: ٤٢٨/١.

وفي رواية أخرى عن أبي مخنف، قال الفتية: (أقرئ خالنا السلام، وقل له: لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من امان أبن سمية).

التخريج/ تاريخ الطبري: ٣١٤/٤ ـ ٣١٥، والكامل: ٢٨٤/٣، والكبريت الأحمر: ٢٧٢/٢.

وأعيان الشيعة: ٤٣٠/٧، والصمصام الزخار: ٥٢٣/١.

٥ـ ونقل أن زينب عليها السلام كانت تسمع حكاية الشمر، فخافت أن تميل نفس أخيها العباس عليه السلام فاستقبلته، وأنكبت على صدره، وقالت: (بالله عليك يا أخي لا تترك أخاك الحسين) قال: (فلما سمع منها ذلك تمطى في ركابه فقطع الركاب، وقال: (أخيّة زينب أمثلي توصين؟، وعليّ تخافين، إذا عدمت عقلي، وذهبت نخوتي، والله

لأرينكي ما تسرين به) فقالت: (أخي أن الماء قد شحّ علينا، فقال لها: أبشري يا زينب، الآن يأتيكم الماء أنشاء الله تعالى).

التخريج/ المجالس الحلبية: ١١٦.

٦ـ قال العباس عليه السلام لعمرو بن سعد وأصحابه: (يا قوم أ أنتم كفرة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم، أو في دينكم أن تمنعوا الحسين عليه السلام وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه، والحسين عليه السلام مع أطفاله وأهل بيته يموتون عطشاً، أما تذكرون عطش يوم القيامة).

التخريج/ معالي السبطين: ٤٣٩/١ نقلاً عن منتخب التواريخ.

٧ـ الشمر يقبل على خيم الإمام الحسين عليه السلام:

قال العباس عليه السلام له: (يا أبن الضبابي، أبالموت تخوفني؟ وأنا الموت المميت، أترك من خلقت لنصرته، وأدخل في طاعة اللعناء، لكن يا شمر أقبل نصيحتي: أترك هؤلاء القوم اللئام، وأنصر أبن فاطمة الزهراء بنت سيد الأنام تنال شرف الدنيا والآخرة).

التخريج/ المجالس الحلبية: ١١٥.

٨ـ أخذ الإمام الحسين عليه السلام رأس العباس عليه السلام ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم عن عينيه فرآه وهو يبكي، فقال الإمام الحسين عليه السلام: (ما يبكيك يا أبا الفضل؟) قال: (يا أخي يا نور عيني، وكيف لا أبكي ومثلك الآن جئتني، وأخذت رأسي عن التراب فبعد ساعة من يرفع التراب عن رأسك؟ ومن يمسح التراب عن وجهك).

التخريج/ معاني السبطين: ٤٣٣/١.

٩ـ بعد خروج العباس عليه السلام لقتال الأعداء أنتسب وقال: (أنا العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ثم نادى (يا بني فلاح، أنا أبن أختكم أم عاصم الكلابية، وأنا عطشان وأهل بيت محمد يذادون عن الماء، وهو مباح للكلاب والخنازير، ونحن منه محرومون، وإليه بالحسرة ناظرون).

التخريج/ أسرار الشهادة: ٥٠٥/٢ وتذكرة الشهداء: ٣١٨.

١٠ـ قال العباس عليه السلام عندما أراد أن يجلب الماء للأطفال (إلهي وسيدي أريد أن أعتد بعدتي وأملأ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء).

التخريج/أسرار الشهادة: ٤٩٨/٢ وتذكرة الشهداء: ٣١٧.

١١ـ قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام: (يا أخي هل من رخصة؟) ثم قال أيضاً: (قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأريد أن أطلب ثاري من هؤلاء المنافقين).

التخريج/ بحار الأنوار: ٤١/٤٥ ومعالي السبطين: ٤٣٩/١.

١٢ـ زهير بن القين يثير حمية العباس عليه السلام بذكر حديث أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام:

قال العباس عليه السلام لزهير وهو غاضب: (أتشجعني يا زهير في مثل هذا اليوم؟ والله لأرينك شيئاً ما رأيته).

التخريج/ أسرار الشهادة: ٣٩٥/٢ ـ ٣٩٦ و الكبريت الأحمر: ٣٠٣/٢ ـ ٣٠٤ ومعالي السبطين: ٤٢٩/١.

١٣ـ في الوداع والخروج من المدينة:

قال العباس عليه السلام: (هذا والله يوم الفراق والملتقى يوم القيامة).

التخريج/ معالي السبطين: ٢٢٦/١.

١٤ـ قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام: (لا والله لا نخليك أبداً ما دام فينا عرق ينبض ولا نفارقك أبداً).

التخريج/ تذكرة الشهداء: ٣٠٤.

١٥ـ قال العباس عليه السلام مخاطبة الأعداء: (يا عدو الله ورسوله لو كان معنا نصفكم لقتلناكم جميعاً).

التخريج/ نور العين: ٣٩، وأسرار الشهادة: ٤٩٩/٢ ، وتذكرة الشهداء: ٣٢٥.

١٦ـ قال العباس عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام: (معاذ الله، بل نحيا بحياتك، ونموت معك).

التخريج/ مقاتل الطالبين: ١١٢ ■

---

(١) ينظر أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣.
(٢) النثر الصوفي عند أبي حيان التوحيدي: ١٩٣.
(٣) ينظر لسان العرب: ١٣٣/٢/ مادة حدث.
(٤) البرهان في وجوه البيان: ٢٤٦.
(٥) ينظر: أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣.
(٦) الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي: ٧٤.
(٧) ينظر: أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣-٦٤.
(٨) أدب الإمام الحسين عليه السلام: ٦٤.
(٩) ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٢٢.
(١٠) الحديث: ١.
(١١) ينظر الخطاب في نهج البلاغة: ١٠٠-١٠١.
(١٢) الحديث: ١.
(١٣) الحديث:١٢.
(١٤) الحديث:٤.
(١٥) الحديث:٤.
(١٦) ينظر جمالية الخبر والانشاء ـ دراسة بلاغية جمالية نقدية: ١٣٠.
(١٧) الحديث:٨.
(١٨) الحديث:٧.
(١٩) الكشاف عن حقائق التنزيل: ٩٧/٤.
(٢٠) الحديث:٨.
(٢١) الحديث:٨.
(٢٢) الحديث:١٢.
(٢٣) الحديث:١.
(٢٤) الحديث:٧.
(٢٥) الحديث:٧.
(٢٦) الحديث:٩.
(٢٧) الحديث:٨.
(٢٨) الحديث:٥.
(٢٩) الحديث:٣.
(٣٠) الحديث:٧.
(٣١) الحديث:١.
(٣٢) الحديث:١.
(٣٣) الحديث:١٤.
(٣٤) الحديث:٨.
(٣٥) الحديث:١.
(٣٦) الحديث:١.
(٣٧) الحديث:١.
(٣٨) الحديث:١.
(٣٩) الحديث:٤.
(٤٠) الحديث:١.
(٤١) الحديث:١.
(٤٢) الحديث:٥.
(٤٣) الحديث:١.
(٤٥) ينظر: جواهر البلاغة: ١٦٣.
(٤٦) الحديث:١.
(٤٧) ينظر جواهر البلاغة: ١٦٣.
(٤٨) الحديث:٣.
(٤٩) ينظر: مفتي اللبيب: ٢٥٦/١.
(٥٠) الحديث:١٥.
(٥١) ينظر: شرح المفصل: ٥٩/٨.
(٥٢) الحديث:١.
(٥٣) ينظر: شرح المفصل: ٥٩/٨.
(٥٤) الحديث:١.
(٥٥) الحديث:١.
(٥٦) الحديث:١.
(٥٧) الحديث:١.
(٥٨) الحديث:٣.
(٥٩) الحديث:١١.
(٦٠) الحديث:١.
(٦١) الحديث:٧.
(٦٢) الحديث:٥.
(٦٣) الحديث:١٢.
(٦٤) الحديث:١٤.
(٦٥) الحديث:١٤.
(٦٦) الحديث:٣.
(٦٧) الحديث:٩.

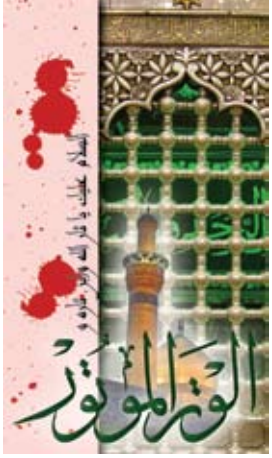

ذخائر المآل
في مدح المصطفى والآل

ديوان السيد حسين الرضوي الحائري (ت ١١٥٦هـ)
تحقيق وتذييل: سعد الحداد

« دراسة نقدية »

خليل إبراهيم المشايخي •
العتبة العلوية المقدسة

ينابيع

بدأت نهضة العراق الأدبية لاسيما في منطقة الفرات الأوسط بداية القرن الثاني عشر الهجري؛ إذ شهدت تلك الفترة ظهور أدباء وشعراء كان لهم السبق في إعادة رونق الحياة والعافية إلى جسد الثقافة العربية لاسيما العراقية بعد خمول دام عقوداً طويلة، كسدت فيه بضاعة الأدب والثقافة حتى عدها بعض الكتاب والمؤرخين فترة مظلمة مرت بها الحياة الثقافية العربية.. فراحت تتلألأ في هذه الفترة أسماء كواكب في سماء الأدب والثقافة والفكر أمثال نصر الله الحائري وحسين رشيد الرضوي الحائري، وأحمد النحوي، ومحمد جواد البغدادي وعبد الباقي الموصلي... وغيرهم ممن ساهمت نتاجاتهم في رفد الحركة الثقافية والأدبية في تلك الفترة على الرغم مما حل بالعراق من نوائب وأمراض فتاكة، وحروب طاحنة.. وقد حفظ لنا التاريخ آثار الكثير من هؤلاء الأدباء والشعراء والمفكرين..

وكان من بين الأصوات الصادحة عالياً في تلك الفترة بمدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام وبرثاء سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام هو الشاعر: حسين رشيد الرضوي الحائري المتوفى سنة ١١٥٦هـ على الأرجح..

والمتتبع لشعر السيد يجده حافلاً بأحداث مرّ بها عصره؛ لذلك يمكن أن يعد سجلاً للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.. وقد اهتم في تصوير عادات وتقاليد أهل ذلك العصر.. وهذا ما حدا بالمحقق سعد الحداد للاهتمام بهذا المخطوط والكشف عنه كما جاء في المقدمة التحقيق[١].

حياة الشاعر

١ـ هو السيد حسين بن الأمير رشيد بن قاسم..[٢] يرجع نسبه إلى السيد أحمد بن محمد الأعرج[٣] لقب بـ(الرضوي)[٤] و(النقوي)[٥] والحائري والنجفي والكربلائي والمشهدي[٦] وألفاظاً أخرى[٧].

٢ـ الشاعر من أسرة علوية شريفة يرجع نسبها إلى الإمام محمد الجواد بن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام.. سكنت الهند وهاجرت منها إلى العراق في أوائل القرن التاسع الهجري.. وقد ذكر المحقق سهواً على ص٨ من الديوان أنها هاجرت من الهند أوائل (القرن التاسع عشر الهجري الى العراق)[٨].

وتولت ثلة من هذه الأسرة سدانة الروضة الحسينية المطهرة قرابة قرن من الزمن[٩].

وحينما قدم والده من الهند إلى العراق اصطحبه معه، وأقاما في النجف الأشرف ثم غادراه إلى كربلاء المقدسة[١٠].. وهناك أنعم الله عليه للقاء السيد أبي الفتح نصر

الله الحائـري فانظم الى حلقات درسـه، فكان لـه الأثر الكبيـر في نشـأته العلمية والأدبية[11].

شخصيـته

السيد حسين الحائري حاز الأدب على صغر سـنه وبرع فيـه؛ وكان عالماً جليلاً ذا منزلة سـامية بين العلمـاء وطلبة العلم، إضافة إلى كونه شـاعراً معروفاً يشـهد له أدباء وشعراء عصره بالمنزلة العالية[12].

وممـن عرف عنه أنه لـم ينصرف إلى منكر أو لذة من لذائذ الدنيا ولا إلى العبث والمجـون لا قـولاً ولا فعلاً، ولذلك خلا ديوانه من أية إشارة إلى ذلك..

تربى تربية دينية صالحة فحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره وتسـلح بالعلوم القرآنية وبالأحاديث النبوية وبتعاليم وفكر مدرسـة أهل البيت عليهم السلام.. ويمكن أن تلمس ذلـك من خلال أشـعاره.. حيـث أكثر في مدحـه للرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من قصيـدة كما مدح الإمام علـي عليه السلام.. وحتى في قصائده الوجدانيـة التي يعبر فيها عن لواعج نفسـه تجده عفيفاً طاهراً تستشف من تعبيراته الأثر القرآني..

لجأ في أسـلوب حياته إلى التقية حيناً وإلى إعلان الرفض أحياناً أخرى[13]، حاله حال كل من اتخذ من القرآن نهجاً وشرعة ومن تعاليم الرسـول وأحاديثه نبراساً فما دام يغتـرف مـن بحور القـرآن ومن فكر الرسـول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام لابد أن يقف حاخامـات اليهود وعبيدهم ضده ويحاربونه بحقد وحنسـة لأنهم لا يريدون للفكر المحمدي الإلهي أن يسود وينتصر.. وهذا ما يتجلـى واضحاً على صعيد الواقع في محنة العراق اليوم..

وقد عبر الشـاعر عن أسـلوب حياته الذي اتبعه بقصيدة منها قوله[14]:

وما قصرت بي عزمة عن بلوغها
ولكن ألحَـــت بي هموم فوادح
وحظ تراه بينمـا هو صـاعد
وذي غاية أبصرته وهو طـائح
أصـانع دهري والحوادث جمة
أحـاربه طوراً وطـوراً أصـالح

منهج التحقيق

يذكر المحقق أنه اعتمد على ثلاث نسخ مخطوطـة ورمز للنسـخة الأولـى بـ(ص) والثانيـة بـ(س) والثالثة بـ(ع) ولم يسـتطع العثور على نسخة أخرى..

واعتمد على النسـخة (ص) مبيناً سبب ذلك: (باعتبارها النسخة الأقدم بين النسخ الثلاث..)[15].. علماً أن الشاعر جمع شعره فـي حياته بخط يده لكن المحقق لم يتمكن من العثور عليه..

وكان عمل المحقق يتلخص بما يأتي:

١ـ بيـان الفـروق والاختلافـات بيـن النسـخ نفسـها أو مع ما جاء في المجاميع المخطوطة والمطبوعة.

٢ـ ترجيح الرواية الأجود والأصح ـ كما يراها هو ـ والإشارة إليها في الحواشي.

٣ـ التعريف بالبلدان والمواضع الأثرية والحضارية.

٤ـ التعريف بالذين ورد ذكرهم في ثنايا المخطوطة.

٥ـ شرح بعض مفردات الأبيات.

٦ـ تخريـج الآيـات القرآنيـة الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

٧ـ قيامـه بصنـع ذيل للديـوان يحوي مجموعة من أشـعار الشاعر مما ليس في ديوانه المخطوط مع ذكر مصادر تخريجها.

الديوان

لقد ذكر المحقق ما أشارت اليه بعض المصادر من أن عنوان الديوان هو (ذخائر المآل) والبعض (ذخائر المآل في مدح النبي المصطفى والآل) ومنهم من ذكر عنوانه (ذخائر المآل في نشر مدح المصطفى والآل) ثم يذكر المحقق اختلاف المصادر في حجم الديوان فالشيخ السماوي عدّه ديواناً صغيراً، وآغا بزرك والأمين بأنه (ديوان كبير يقرب من أربعة آلاف بيت ويذكر المؤلف أن عدد أبيات الديوان هو (٢٠٢٥) بيتاً).

افتتح الديوان بـ(أرجوزة) ذكر فيها بعض آرائه بعد التعريف بنفسه والثناء على أستاذه الحائري.. وبعدها فصول في المدح والرثاء، والتاريخ الشعري ومتفرقات أغلبها في الصناعات اللفظية.. ثم يذكر المحقق أن الديوان يخلو من الترقيم للقطع الشعرية أو تسمية البحر العروضي، كما خلا من أي تعليق في حواشيه.. وربما أطنب في رصف الألقاب لأعلام الممدوحين.. كما تضمن إشارات في التعمية دون الأحاجي..[١٧].

أسلوب المحقق في التحقيق

اعتمد المحقق في تحقيقه للديوان على ثلاث نسخ وقد قدم عرضاً وافياً لهذه النسخ بحسب مالكها كما ذكر ذلك وهذه الكتب المعتمدة هي:

أ- مخطوطة يعقوب سركيس ورمز لها بـ(ص)، وذكر أنها هي الأقدم بين النسخ الأخرى وعدد صفحاتها (١٥٤) وأبعادها (١٩×١٢)سم بخط الرقعة. لكنه لم يذكر إن كانت كاملة لا نقص فيها أو عيب.. كما يقتضي منهج البحث العلمي.

ب - مخطوطة الشيخ محمد طاهر السماوي ورمز لها بـ(س) وقال عنها: (أجمل النسخ وأوضحها خطاً وتحتوي على (١٠٩) صفحة وعدد سطورها (٢٢) سطراً وأبعادها (٢×١٢)سم بخط فارسي.

ج - نسخة عباس العزاوي ورمز لها بـ(ع) وتحتوي على (١٤٨) صفحة وأبعادها (٢١×١٤) سم بخط النسخ.. وهناك نسخ أخرى أهملها المحقق لأسباب أشار إلى بعضها واكتفى بالنسخ الثلاث في تحقيق الديوان.

نماذج من شعر الشاعر

١- من قصيدة له يمدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي يبدو فيها التقليد واضحاً جلياً والمحاكاة لقصيدة (نهج البردة) للبوصيري حتى في قافيتها، إليك هذه الأبيات[١٨]:

حيّ الحيا عيد أحباب (بذي سلم)
وملعب الحي بين البان والعلم
وجاد أعلام جمع والعقيق فكم
فرّقنَ جمع هموم باجتماعهم

ويستمر على هذا المثال بمقدمة طويلة شارفت على الخمسين بيتاً حتى يأتي إلى مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[١٩]:

محمد المصطفى الهادي البشير عما
د الأصفياء ختام الرسل كلهم
ربّ العطاء عطاء الرب فضله
ركن العلاء علاء الركن والحرم
الطاهر العصم ابن الطاهر العصم
ابن الطاهر العصم ابن الطاهر العصم

٢- ومن قصيدة أخرى يمدح فيها الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأبيات:

جيرة الحي أين ذاك الوفاء
ليت شعري وكيف ذاك جفاء

لي فؤاد أذابه لاعج الشـــــو
ق وجفن تفيض منه الدماء

وبعـد مقدمتـه التقليدية التـي حاكى فيها من سبقه من الشـعراء يأتي إلى مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

يا أبا القاسم المؤمل يا من
خضعت لاقتداره العظماء
قاب قوسين قد رقيت علاء
(كيف ترقى رقيك الأنبياء)
ولك البدر شق نصفين جهراً
(يا سماء ما طاولتها سماء)
ودعوت الشمس المنيرة ردت
(لعـلي) تمدهـــا الأضواء
أنت نور علا علـــى كل نور
ذي شروق بهدية يستضاء

ثم يعرج على ذكر آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ولـه الآل خيـــــر آل كرام
علمـاء أئمـــة أتقيـــاء
هم رياض الندى ودوح فخار
وسمـــاح ثمـارها العليـاء
يبتغي الخير عندهم والعطايا
كل حين ويستجـــاب الدعاء
سيّما سيد البرايـــا (علي)
من تباهت بمجده الأوصياء
أسد الله معدن الصدق من لم
يثنه عن بيان الحق دماء

٣ـ وإليك مما قاله سمطاً هذه الأبيات في مديحه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام:

يـا سيداً سادة الدنيـا تعظمه
ويا مليكاً ملوك الأرض تخدمه
يا خير من شرف الأكوان مقدمه
يا خير من دفنت في الترب أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم

٤ـ ولـه أكثـر مـن قصيدة يمـدح فيها الإمام علي عليه السلام منهـا قصيدته الراثية التي ننقل منها هذه الأبيات:

أرض تبوأها (أبو الحسنين) من
آلاؤه لـذوي البصـائر تبهر
شرفت بمدفنه الكريم كما اغتدت
(أم القرى) بولاده تستـبشر
سـرّ الاله وسيـفه وولـيه
السيد الزاكي الأبـر الأطهر
وهو الإمـام المستضاء بنوره
من حظه يوم الفخار الأوفر

ومنها أيضاً قوله مخاطباً أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أأبا الأئـمة من ذؤابه هاشم
في الفضل يقدمهم (شبير وشبر)
أعطاك ربك كوثراً من بـره
ولكل ظام من عطـائك كوثر
فظباك قد صلت بهامات العدا
فانحر فشانئك العدو الأبتر

٥ـ ولـه مـن قصيدة يرثي فيها سيد الشهداء عليه السلام هذه الأبيات[٢٠]:

شهيد بأرض (الطف) يبكيه (أحمد)
وطيبة يبكي ركنها ومقامها
وتبكيه عين الشمس بالدم قانياً
إذا حط عنها للدموع لثامها
وتبكي عليه الوحش في كل قفرة
وتنـدبه آرامهـا وحمامهـا
سليب عليه الجن ناحت وأعولت
بمرثية يشجي القلوب نظامها

خلاصة القول في شعر الحائري

وأنت تقرأ شـعر الشـاعر تجده شعراً تقليديـاً حاكـى فيه الشـعر العباسـي في أوج عصـوره.. ولا يختلـف في شـيء عن الشعر الذي شـاع في عصره؛ فقد أغرقه بالمحسنات البديعية واللفظية، لذلك خلا مـن الإبداع فـي صـوره وتعبيراته وغلب

عليه التقليد والمحاكاة حتى في الأغراض الشعرية.. كما اهتم مثل شعراء عصره بالتاريخ الشعري وكانت عنايته واضحة بالتخميس والتسميط والتشطر.. فكانت أغراض شعره تقليدية لا تتعدى المدح والرثاء والتهنئة أو التعزية ما تسمى بـ(الاخوانيات).

كما يبدو واضحاً على شعره أنه شديد التأثر بالقرآن الكريم لذلك أكثر من الاقتباس والتضمين القرآني..

خلاصة القول في التحقيق

لاشك أن المحقق قد بذل جهداً متميزاً في تحقيق الديوان يظهر ذلك واضحاً في حرصه على تأصيل كل معلومة تمر بها.. وكذلك ما بذله من جهد كبير في إلحاق الديوان بتذييل..

ولكن لنا ملاحظات يمكن أن نوجزها عسى أن يتسع لها صدر المحقق، أهمها:

١ـ فيما يتعلق بعنوان الديوان، فالمحقق يذكر أن الشاعر نفسه عنون ديوانه بـ(ذخائر المآل في نشر مدح المصطفى والآل)[٢١] لكن المحقق لم يراع ذلك وعنونه بـ(ذخائر المآل في مدح المصطفى والآل).

٢ـ خلو الديوان من الفهارس وثبت المصادر والموضوعات.

٣ـ إخراج الديوان تبدو عليه العجالة إذ ينقص الطباعة الوضوح وحسن التنظيم فقد كتب المتن والهامش بحجم (١٢) وهذا الحجم يتعب القارئ جداً مهما كانت قوة نظره (بصره).

٤ـ ومما يحسب على عجالته في إخراج الديوان ما جاء على صفحة (٨) من الديوان قوله: (هاجرت من الهند في أوائل القرن التاسع عشر الهجري إلى العراق) والعبارة لا تحتاج إلى تعقيب..

٥ـ قد تلمس بعض الاضطراب في منهج التحقيق لاسيما عند الإشارة إلى المصدر أو المرجع في الهامش منها ما يذكر معه اسم المؤلف.. وقد تجده يحيد عن هذا المنهج فيذكر المصدر دون ذكر صاحبه؛ وقد تكون بعض هذه المصادر نادرة؛ وهذا ما يخالف منهج التحقيق.

٦ـ ومن ذلك الاضطراب أيضاً تجده في أغلب عمله في التحقيق يثبت الصواب في المتن ويشير إلى الخطأ في الهامش؛ لكنه أحياناً ما لا يلتزم بذلك.. ومن ذلك قوله: (وبحساب التاريخ الشعري تكون جملة (حسين بحسين حظيا) توافق سنة (١١٧٦هـ) ..) ويشير في الهامش رقم (٣) أنه (في جملة التاريخ خطأ في الحساب إذ

يوافق سنة (١١٧٧هـ).. وليس كما جاء في الديوان)[٢٢].. وما يقتضيه منهج التحقيق العلمي أن يكتب الصواب في المتن، ويصار إلى الإشارة إلى ما ورد من خطأ في الهامش.

٧- يذكر المحقق خمس روايات تتعلق بـ(سنة وفاة الشاعر) على صفحة (١٠) فكان عليه أن يبت بشكل علمي وبأدلة تاريخية ومنطقية يرجح إحدى هذه الروايات هذا ما يقتضيه المنهج العلمي في التحقيق لا أن يرجح إحداها لأنها أكثر شيوعاً. لأن شيوع الرواية لا يعني القطع بصحتها.. ثم يعود وبعيداً عن المنطق العلمي على صفحة ١٢ إلى ترجيح سنة أخرى غير التي ذكرها على صفحة (١٠) قائلاً: (وإن كان الراجح لدينا سنة ١١٥٦هـ والله أعلم).. دون أن يذكر أي دليل أو برهان يستند إلى شيء مقنع..

٨- وتظهر العجالة أيضاً في عدم دقة بعض العبارات من ذلك ما جاء على صفحة (٢٣) قوله: (وهل اطلع صاحبنا الذريعة والأعيان على النسخة الأم أم هو مجرد تقدير لعدد أبياته)[٢٣].

وقد جانب المحقق الصواب في هذه العبارة من ناحيتين:

أولهما: قوله: (صاحبنا) وهما اثنان.

وثانيهما: استخدم (هل) مع (أم) المعادلة العاطفة، والمعلوم في علم النحو العربي أن (هل) لا تأتي في سياق جملتها (أم) المعادلة العاطفة.

٩- ومن ذلك ما جاء في صفحة ٣٥ من الديوان حينما أورد البيت الآتي:

يا صاح عج بي قليلاً في معاهدهم
نشف عليل محب ذاب من ألم

والصواب (تشف).. لأن سياق الكلام موجه إلى المخاطب لا إلى جماعة المتكلمين.

نكتفي بهذا القدر من الملاحظات عسى أن ينتفع ببعضها المحقق.. ولو أن هذه الملاحظات لا تقلل من الجهد المتميز المبذول في التحقيق.. وفق الله كل من أحيا تراثنا الإسلامي الخالد، وساهم في نشره، إنه نعم المولى ونعم النصير ■

---

(١) الديوان/ المقدمة ص:٤.
(٢) الطليعة من شعراء الشيعة/ الشيخ محمد طاهر السماوي/ ١\١٠١.
(٣) تراث كربلاء/ سلمان هادي آل طعمة ص:١٨٨.
(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ جمال الدين الحسيني/ ٢٠١.
(٥) نشوة السلافة ومحل الإضافة/ العلامة محمد علي آل موحي الخيقاني/ ٢٧.
(٦) الديوان/ ٥ والروض النظر/ ٣\١٢٨.
(٧) تاريخ الأدب العربي في العراق/ العزاوي/ ٢٢\٢٥٨
وشعراء الحلة/ علي الخاقاني ٢\٢٧٣.
(٨) الديوان/ ص:٨.
(٩) تاريخ العراق الحديث/ عبد الرزاق سليمان نوار/ ٨٨.
(١٠) الديوان/ ص:١٠.
(١١) المصدر نفسه/ ص:١١.
(١٢) المصدر نفسه/ ص:١٢.
(١٣) المصدر نفسه/ ص:١٥.
(١٤) المصدر نفسه/ ص:١٧.
(١٥) المصدر نفسه/ ص:٢٥.
(١٦) المصدر نفسه/ ص:٢٣.
(١٧) المصدر نفسه/ ص:٢٤.
(١٨) المصدر نفسه/ ص:٣٥.
(١٩) المصدر نفسه/ ص:٣٩.
(٢٠) المصدر نفسه/ ص:٧٠.
(٢١) المصدر نفسه/ ص:٢١.
(٢٢) المصدر نفسه/ ص:٢٢.
(٢٣) المصدر نفسه/ ص:٢٣.

صورة قديمة لذكرى مراسيم دفن الإمام الحسين عليه السلام والأجساد الطاهرة يوم ١٣ محرم الحرام في كربلاء المقدسة

أجوبة مسابقة العدد (٢٦) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. ابن أبي الحديد

السـؤال الثـاني: ج. سدّ الأبواب إلا بابه

السـؤال الثالـث: ب. علي بن مهزيار الدورقي

السـؤال الرابـع: ج. النجف ١٢٤٤هـ

السؤال الخامس: ج. مسجد الخيف

السؤال السادس: ب. اثنين (زيد وسيحان ابنا صوحان)

السـؤال السـابع: ب. من أشعة القرآن

السـؤال الثامـن: ب. عبد السلام بن صالح

السـؤال التاسـع: أ. ليلة الفرقان

الفائزة بالجائزة الأولى: نادية مجيد حميد/ كربلاء المقدسة ـ الهندية (طويريج).

الفائزة بالجائزة الثانية: هبة محمد علي جعفر/ بابل ـ المدحتية.

الفائز بالجائزة الثالثة: موسى عبد الزهرة سلمان/ كربلاء المقدسة ـ ناحية الحر.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٢٨)

١ عمرو بن عبد الله الصائدي، من شهداء كربلاء، عيّنه مسلم بن عقيل على ربع تميم وهمدان وكان يقبض الأموال من المبايعين للإمام الحسين عليه السلام، فما هي كنيته؟

أ ـ أبو ثمامة

ب ـ أبو حنظلة

ج ـ أبو وهب

٢ **وعلى الدهر من دماء الشهيديـ**
ـن علي ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجرا
ن وفي أولياته شفقان

من القائل؟

أ ـ أبو فراس الحمداني

ب ـ أبو العلاء المعري

ج ـ أبو نؤاس

٣ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، طلب من أحد أصحابه أن يذهب إلى كربلاء ويدعو له بالشفاء من مرض أصابه عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، فمن يكون عليه السلام؟

أ ـ الإمام علي الرضا عليه السلام

ب ـ الإمام محمد الجواد عليه السلام

ج ـ الإمام علي الهادي عليه السلام

٤ قال بشر بن حذيم: «نظرت إلى زينب بنت علي في الكوفة بعد مقتل أخيها الحسين، ولم أرَ خفرة قط أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام» فما معنى كلمة (خفرة)؟

أ ـ شديدة الحياء

ب ـ صلبة القلب

ج ـ بليغة الكلام

كوبون مسابقة

ينابيع ٢٨

الاسم الثلاثي:

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ لما أرسل الإمام الحسين عليه السلام مسلماً إلى الكوفة أرسل معه عدداً من أصحابه ليكونوا عوناً له، فكم كان عددهم؟

أ ـ واحد

ب ـ اثنان

ج ـ ثلاثة

٦ روي عن الإمام الصادق عليه السلام **«أن السماء لم تبك على أحد سوى الحسين و؟»** فمن هو الآخر؟

أ ـ هابيل بن آدم

ب ـ يحيى بن زكريا

ج ـ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

٧ كان أبو الحسن الرضا عليه السلام يقول: **«من زار الحسين بن علي عارفاً بحقه كان من محدثي الله فوق عرشه»** ثم جعل يتلو من القرآن...؟

أ ـ ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾

ب ـ ﴿إن للمتقين مفازاً﴾

ج ـ ﴿وبشّر المخبتين﴾

٨ الحجاج بن يزيد السعدي، ممن استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. فمن أي بلد قدم والتحق بالإمام الحسين عليه السلام؟

أ ـ البصرة

ب ـ الكوفة

ج ـ مكة

٩ من أسماء كربلاء ويعني: ساحل البحر، أو جانب البر. فما هو؟

أ ـ صفورا

ب ـ عمورا

ج ـ الطف

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ربيع٢/١٤٣٠هـ.**